الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
niversité Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -

جامعة البويرة

كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير

مذكرة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في العلوم الإقتصادية

تخصص: اقتصاد نقدي وبنكي

مذكرة بعنوان:

الفكر الإقتصادي عند مالك بن نبي المسلم في عالم الاقتصاد – أنموذجا–

إعداد الطالبة:

– ميهوبي منى

تحت إشراف:

د– علام عثمان

لجنة المناقشة:

اسم ولقب الأستاذ	الجامعة	الصفة
د/ذياب محمد	جامعة البويرة	رئيسا
د/قاري عبد الرحمان	جامعة البويرة	ممتحنا
د/ علام عثمان	جامعة البويرة	مشرفا

السنة الجامعية2024/2023

شكر وعرفان

قال رسول الله صلى الله علية وسلم :
" لايشكر الله من لايشكر الناس "

يسعدني أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى أستاذي المشرف الدكتور علام عثمان حفظه الله ورعاه ووفقه في حياته على نصحي وإرشادي وتوجيهي في العمل فله مني أسمى عبارات الاحترام والتقدير

كما أتقدم بالشكر لكل من قدم لي يد المساعدة سواء من قريب أو بعيد لإنجاز هذا العمل العلمي المتواضع ، وأتوجه أيضا بالشكر والعرفان لأعضاء لجنة المناقشة على التفضيل بقبول مناقشة المذكرة وعلى ما سيقدمون من نصائح وتوجيهات .

إهداء

أحمد الله عزوجل حمدا كثيرا على منه وعونه لإتمام هذه المذكرة وتوفيقي ومنحي الجهد والمثابرة ، إلى حبيبا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

أهدي هذا العمل المتواضع إلى أمي الغالية التي جاهدت الأيام بكل صبر ورفعت الأيادي دعاء بالله أملا وثقة .. حفظك ورعاك لي من كل سوء وأطال في عمرك ومنحك الصحة وراحة البال يارب .

يسعدني أيضا أن أهدي هذا العمل إلى من أتعبتهم كثيرا وقدموا لي يد المساعدة وتوفير الظروف المساعدة زوجي الغالي " محمد " حفظه الله لي وجعله سندا لي ، أختي سهام ، زوجها ، أبناؤها معاذ ، مصعب ، معين ، أختي فايزة ، زوجها ، أبناؤها يقين ، مؤيد ، حسام .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
شكر وعرفان	I
اهداء	II
فهرس الموضوعات	III
قائمة الجداول	IV
مقدمة	**1**
الفصل الأول: مالك بن نبي عصره ، حياته وفكره	
تمهيد	**6**
المبحث الأول: الأوضاع العامة في عصر مالك بن نبي	**7**
المطلب الأول : الأوضاع السياسية والإدارية	**7**
المطلب الثاني: الأوضاع الاقتصادية	**8**
المطلب الثالث : الأوضاع الاجتماعية ، الثقافية والدينية	**9**
المبحث الثاني: مولده ونشأته، رحلاته	**11**
المطلب الأول :مولده ونشأته	**11**
المطلب الثاني : رحلاته	**14**
المبحث الثالث: إنتاجه الفكري	**19**
المطلب الأول : مؤلفاته (آثاره)	**19**
المطلب الثاني :آراء العلماء والمفكرين في مالك بن نبي	**21**
خلاصة الفصل الأول	**26**
الفصل الثاني: ملامح الفكر الاقتصادي لمالك بن نبي	
تمهيد	**28**
المبحث الأول: معركة تحدي عالم الاقتصاد	**29**
المطلب الأول: نظرة مالك بن نبي إلى الواقع الاقتصادي	**29**
المطلب الثاني: الأسس الحضارية للنظرية الاقتصادية	**37**
المطلب الثالث :مرتكزات النظرية الإقتصادية في فكر مالك بن نبي	**46**

المبحث الثاني :شروط الانطلاق في عالم الاقتصاد	**51**
المطلب الأول : الإقلاع الإقتصادي حسب فكر مالك بن نبي	**51**
المطلب الثاني : ضرورة التكامل الإقتصادي في الدول العربية	**57**
المبحث الثالث : النهضة التنموية في فكر مالك بن نبي (التجربة الماليزية)	**60**
المطلب الأول : نبذة عن دولة ماليزيا	**60**
المطلب الثاني: المشروع النهضوي الاقتصادي في عهد محمد مهاتير – التجربة الماليزية–	**61**
المطلب الثالث: نجاح التجربة الماليزية وأهم الدروس المستخلصة منها	**63**
خلاصة الفصل الثاني	**66**
خاتمة	**67**
قائمة المراجع	**71**

قائمة الجداول

رقم الجدول	عنوان الجدول	الصفحة
الجدول رقم (01)	تطورات القطاعات الاقتصادية بين 1930-1955	08
الجدول رقم (02)	القيم الإقتصادية	53

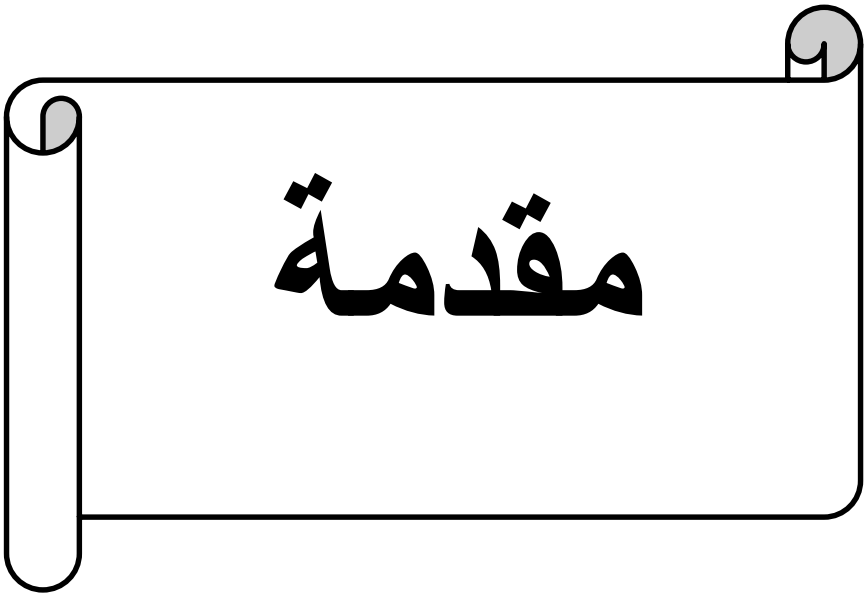
مقدمة

1- تمهيد :

يعتبر المفكر الجزائري مالك بن نبي من الذين اهتموا بشكل جذري بمشكلة الحضارة ودورها في تشكيل وعي الشعوب ومواجهة تحديات التنمية الاقتصادية ،حيث تعد مشكلة الحضارة هي المحور الرئيسي الذي تدور في نطاقه أفكار مالك بن نبي ، فالأمة العربية الإسلامية اليوم تواجه تحديات ومشكلات كثيرة ومتنوعة والتي يعتبر المشكل الاقتصادي أهم هذه التحديات والذي لا يمكن أن ينفصل عن المشكلة الحضارية .

تطرق مالك بن نبي إلى إبراز مشاكل الاقتصاد في الوطن العربي والعالم الإسلامي ، إذ تعاني اليوم مجتمعاتنا من تخلف اقتصادي كبير زاد من تأخر للحاق بركب الحضاري الدولي ، حيث يؤكد من خلاله من خلاله أن أهم المشاكل التي يواجهها اقتصادنا هو عبارة عن سعيه للأنظمة المتبعة من قبل العالم المتقدم (الشيوعية والرأسمالية) دون البحث عن منهج ثالث يوافق المجتمع الإسلامي .

حيث يريد المفكر مالك بن نبي أن يلفت الانتباه إلى ضرورة خلق وعي اقتصادي مشروط حضاريا محاولا إبراز دور العنصر البشري وجوانبه الاجتماعية والفكرية في المنظومة الاقتصادية ، ويشير إلى أن الحل يكمن في القوة البشرية للنهوض بالاقتصاد في بلدان العالم الثالث ، حيث يؤكد أن أهم مورد يجب تأهيله واستغلاله والاستثمار فيه هو المورد البشري لأنه ومهما استورد العالم الإسلامي والعربي لمختلف أشكال التكنولوجيا الغربية لن يكون هنا نهضة مالم يتم تأهيل العنصر البشري أولا .

فالبحث في فكر مالك بن نبي سيكون له أثر كبير على النهضة في كل دول عالم وخاصة الجزائر التي تتمتع بإمكانيات بشرية ومادية تحتاج إلى تبني الفكر الاقتصادي لهذا المفكر ، انطلاقا إلى الحاجة إلى مشروع اقتصادي في إطار نهضوي جديد الذي تنطوي عليه العملية الاقتصادية .

فيعتبر كتاب المسلم في عالم الاقتصاد نموذجا لموضوع دراستنا وهو أحد أهم كتب المفكر الجزائري مالك بن نبي ، صدر باللغة العربية سنة 1972 ومن مؤلفاته الأخيرة من حياته ، نال شهرة واسعة في أوساط المثقفين ، إذ يتميز بن نبي بقوة أفكاره وعرضها بطريقة تحليلية ، حيث ركز على ضرورة تخليص الفكر الإسلامي من العقد التي تستولي اجتهاده في مجال الاقتصاد ، والقضية الاقتصادية هي ليست قضية إمكان نالي بالدرجة الأولى ، وإنما قضية الطاقات الاجتماعية (الاستثمار الاجتماعي) في مشروع تحركه إرادة حضارية لا تحجم أما الصعوبات لذا على المسلم اليوم عليه أن يؤمن باحتمالية إنشاء مذهب اقتصادي إسلامي ينفض عن المسلم غبار التبعية والتخلف والركود الاقتصادي ويدفع بالأمة الإسلامية إلى عجلة الأمان والتقدم والازدهار

ومن هنا سوف نحاول معالجة الإشكال التالي :

كيف يعيد المجتمع المسلم تحقيق توازنه الاقتصادي حتى يتمكن من تحقيق النهضة وفقا لفكر مالك بن نبي ؟

وللإجابة على الإشكالية المطروحة والإلمام بجوانبها ارتأى الباحث تقسيم الدراسة إلى التساؤلات التالية :

أ–كيف نظر مالك بن نبي إلى الواقع الاقتصادي للدول العربية والإسلامية ؟

ب–فيما تتمثل عناصر الفكر الحضاري وفقا لتصور مالك بن نبي ؟

ج–ما لإسهامات التي قدمها مالك بن نبي لتحقيق الإقلاع الاقتصادي ؟

د– هل استفادت التجربة الماليزية من أفكار مالك بن نبي في بناء مشروعها الحضاري الاقتصادي ؟

2– فرضيات الدراسة :

للإجابة على التساؤلات المطروحة قمنا باقتراح الفرضيات التالية :

أ–يرى مالك بن نبي أن الدول العربية والإسلامية بعد نيلها الاستقلال وجدت نفسها بين خيارين اثنين خيار الإباحة الرأسمالية أو خيار الاشتراكية ومنثم أصبحت التبعية الاقتصادية من أكبر المشاكل التي تعاني منها .

ب–يعتمد الفكر الحضاري للمفكر مالك بن نبي على المورد البشري .

ج–النهوض بالفكر الاقتصادي الهدف الأسمى في العالم العربي الذي قدمه مالك بن نبي باستثمار الطاقات البشرية واستغلال الإمكانات الطبيعية التي بين يديه .

د–حققت التجربة الماليزية انجازات كبيرة من خلال تطبيق مشروع مالك بن نبي في منهجها التنموي .

3– أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى نظرة مالك بن نبي للدول النامية لعدم قدرتها على تحقيق توازن اقتصادي رغم توفرها على موارد بشرية وطبيعية هامة ، وكيفية تعامل هذه الدول مع تحديات العولمة لتحقيق اقتصاد متكامل وفعال .

4– أهمية الدراسة :

استطاع مالك بن نبي أن يقدم زبدة أفكاره الاقتصادية في كتابه المسلم في عالم الاقتصاد محاولا عرض الواقع الاقتصادي للبلدان المتخلفة والنامية والمشاكل التي عان منها الوطن العربي والعالم الإسلامي إبان فترة الاستعمار الغربي ، وانتقاده لفكرة تطبيق النظريات الاقتصادية الغربية (الشيوعية والرأسمالية) في المجتمعات الإسلامية .

حيث اعتبر مالك بن نبي ضرورة بناء إنسان متحضر هو الهدف والسبيل لتحقيق التنمية الاقتصادية انطلاقا من الحاجة إلى مشروع الإقلاع الاقتصادي للدول العربية والإسلامية في إطار تنطوي عليه العملية الحضارية الاقتصادية .

5-منهج الدراسة :

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج التاريخي وذلك لغرض الجوانب المتعلقة بحياة مالك بن نبي ، كما تم الإستعانة بالمنهج الوصفي بأسلوب تحليلي لدراسة وتحليل ملامح الفكر الإقتصادي لمالك بن نبي وتحليل نموذج التجربة الماليزية كعرض لأحد التجارب الناجحة في تطبيق المشروع الحضاري الإسلامي لفكر مالك بن نبي .

6- حدود الدراسة :

هذه الدراسة تختص بمناقشة ملامح الفكر الإقتصادي لمالك بن نبي .

7- أسباب اختيار الموضوع :

- الرغبة الذاتية لاختيار هذا الموضوع؛
- محاولة التعرف على أفكار مالك بن نبي من الجانب الاقتصادي؛
- الرغبة في مواصلة البحث حول أفكار مالك بن نبي .

8- صعوبات الدراسة:

أما فيما يخص الصعوبات لاشك أن محاولة البحث في هذا الموضوع من قبل باحث مبتدئ لا تخلو من الصعوبات لاستعمال مالك بن نبي للمصطلحات الفلسفية لكن رغم كل هذا فإن إقدامي على إنجاز هذا العمل المتواضع لم يمنعني في السير في بحثي هذا .

9-أقسام الدراسة :

لمعالجة إشكالية الدراسة قسم الباحث موضوع الدراسة إلى مقدمة وفصلين وخاتمة

الفصل الأول معنون مالك بن نبي عصره، حياته وفكره حيث تطرق في المبحث الأول إلى الأوضاع العامة في عصر مالك بن نبي أما المبحث الثاني خصص لحياته (مولده ونشأته) وفي المبحث الأخير إنتاجه الفكري .

الفصل الثاني تحت عنوان ملامح الفكر الاقتصادي لمالك بن نبي حيث تضمن في المبحث الأول معركة تحدي عالم الاقتصاد ،أما المبحث الثاني تناول شروط الانطلاق في عالم الاقتصاد أما المبحث الثالث والأخير النهضة التنموية الحديثة خصص لدراسة عرض التجربة الماليزية وخاتمة تتضمن أهم النقاط المتحصل عليها .

الفصل الأول

مالك بن نبي عصره ، حياته وفكره

تمهيد:

لقد كان للجزائر عبر تاريخها العريق علماء ومفكرون صنعوا المجد لهذه الأمة العظيمة، وساهموا في بناء أجيال الجزائر و الأمة الإسلامية على الدين وحب الوطن والاعتزاز بالشخصية العربية الإسلامية ،ومن بين هؤلاء العظماء نجد المفكر مالك بن نبي ،أحد المفكرين الإسلاميين الذين قدموا آراءهم لنهضة بلادهم على هدي القرآن الكريم للخروج من مأزق التخلف والتبعية.

لقد أمعن مالك بن نبي في مشكلات التخلف المتزامنة باحثا عن السنن والقوانين الكفيلة بتحول الشعوب من التبعية إلى القدرة والفعالية.

لم يرتبط فكر مالك بن نبي بموقع جغرافي معين، فرغم انتمائه إلى الجزائر إلا أن أفكاره كانت على امتداد خط طنجة جاكرتا وحاول أن تكون طروحاته الفكرية بحجم التحديات المحدقة بالعالم الإسلامي وترجمها في سلسلة من الكتب تحت عنوان مشكلات الحضارة.

لذا سوف نحاول في هذا الفصل بتقديم لمحة موجزة تستوفي الأوضاع العامة التي عاشها مالك بن نبي ونبذة عن حياته والكتب التي أنتجها وأعماله الفكرية بداية من باريس إلى القاهرة إلى الجزائر موزعة على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: الأوضاع العامة في عصر مالك بن نبي .

المبحث الثاني : مولده ، نشأته ورحلاته .

المبحث الثالث : إنتاجه الفكري .

المبحث الأول: الأوضاع العامة في عصر مالك بن نبي

لقد عاش الجزائريون أوضاع صعبة في عصر تمكنت فيه فرنسا من بسط نفوذها بمنطقة شمال إفريقيا للاستيلاء على خيراتها وثرواتها الزاخرة .

ولقد مارس الاستعمار الفرنسي كافة أنواع التعذيب والقتل والتجهيل وفرض سياسته الخانقة على الشعب الجزائري ، وأحدث تغييرا في حياة الجزائريين مست جميع الجوانب والتي سنتحدث عنها سياسيا ، إداريا اقتصاديا واجتماعيا ، ثقافيا ودينيا .

المطلب الأول : الأوضاع السياسية والإدارية

الفترة الممتدة بين 1905-1973 والتي قدر لمالك بن نبي العيش فيها ، شهدت تحولا كبيرا على أصعدة عديدة ، خاصة على الصعيد السياسي ، بحيث كان العالم في هذه الفترة في حالة تغيرات عميقة مست النظم والهياكل الأساسية والإدارات والحكومات والتي انعكست على حياة الشعوب ، حيث شهد العالم تحولا كبيرا تمثل في الانقسامات التي تمخضت عن الحرب العالمية الأولى 1914 ، والتي استمرت وتوسعت أكثر في الحرب العالمية الثانية 1939 ، ولقد بلغت الأزمة حدها ، فلم يستطع العالم أن يمضي في طريقه إلى أبعد من هذه الحدود ، لأنه كان قد استنفذ قدرا كبيرا من زاده في الحرب العالمية الأولى ، ولم يستطع أن يتقوت خلال الحرب العالمية الثانية ، في إطار تلك النظم البالية والتحولات الجغرافية والسياسية التي قسمت العالم إلى كتلتين متميزتين :[1]

- كتلة الشعوب المتحضرة التي تسكن أوروبا وأمريكا .
- كتلة الشعوب التي تسكن آسيا وافريقيا .

فالوضع السياسي كان الحكم في يد الوالي العام الممثل للحكومة الفرنسية في الجزائر والمعين من قبلها ، وهو يتبع رسميا وزارة الداخلية باعتبار أن الحكم في الجزائر مدني ، وكان الحاكم (روجي ليونار) هو الذي يقوم بتسيير شؤون الجزائر إداريا وسياسيا وعسكريا واقتصاديا ، وكانت تحته مجموعة من المصالح والإدارات والقطاعات العسكرية والمؤسسات الاقتصادية وعادة يبقى في ولايته بيت ثلاث وأربع سنوات .

أما من الناحية الإدارية كانت الجزائر مقسمة إلى ثلاثة أقاليم على رأس كل إقليم وال وله نواب وكل ولاية مقسمة إلى دوائر وكل دائر إلى بلديات ، هذا في شمال البلاد ، أما في جنوبها فكانت هناك أربع

[1] مالك بن نبي ، الفكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ ، دار الفكر ، دمشق ، 1979 ، ص 29 .

مقاطعات وهي عين الصفراء ، والواحات الصحراوية ، وغرداية وتقرت وتسع ملحقات إضافة إلى تيديكلت وجانت والهقار وهي مناطق تابعة للملحقات .[1]

إن تطبيق السياسة الفرنسية في الجزائر والقوانين التي فرضت عليها قد كان لها أثر كبير في ردود أفعال في بروز أنواع المقاومات المسلحة والمقاومات السياسية ، فقد عاشت الجزائر خلال العقد الأول من القرن العشرين فترة غنية بالأحداث السياسية الداخلية كان لها أثر كبير في نمو الوعي الوطني لدى مختلف الطبقات وتبلورها في شكل مقاومة وطنية .[2]

المطلب الثاني: الأوضاع الاقتصادية

حسب الدارسون لاقتصاد الجزائر ، فقد عاشت أزمة اقتصادية حادة منذ الحرب العالمية الأولى ، ولم تستطع الخروج منها إلا في أوائل الخمسينات وهذا يعود للأداء الذي عاشه الاقتصاد الفرنسي بعد الحرب من جهة ولكن النمو لم يؤثر في كل القطاعات الاقتصادية بدرجة متساوية ، مثلا بين 1930 –1955 تطورت القطاعات الاقتصادية كما يلي : [3]

الجدول رقم (01): يمثل تطورات القطاعات الاقتصادية بين 1930–1955.

القطاع	1930	1955	النسبة
الزراعة	194	210	%30
المناجم	14	19	%1.2
المصنوعات والطاقة	33	104	%4.6
البناء والأشغال العمومية	13	47	%5.4
النقل والعمال والخدمات	169	269	%109
الإدارة المدنية	36	80	%3.3
اجمالي الناتج المحلي	**460**	**730**	**%8.1**

[1] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج10، دار البصائر ، الجزائر ، 2007 ، ص ص 14 –15

[2] أكرم بوجمعة ، أوضاع الجزائر في مطلع القرن العشرين ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، العدد 28 ، تلمسان ، 2016 ، ص 165 .

[3] أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ص ص 12–13

فقد كانت الزراعة والمناجم في وضع راكد ، أما في المجال الزراعي التقليدي حيث الزراعة هي أساس الاقتصاد لأغلبية السكان فقد استمر في التراجع فيه حتى عاد إلى ما كان عليه منذ ستين سنة خلت ، فمثلا انتاج الحبوب لم يتقدم منذ فاتح القرن العشرين والإنتاج الحيواني فقد انكمش بشكل ملحوظ .

في سنة 1953 ربح الكولون 34000 فرنك عن معدل الهكتار بينما الفلاح الجزائري ربح 6400 فرنك ، فعدد الفلاحين الذي بلغ 5840.000 نسمة لقد كان الدخل السنوي هو 19200 فرنك ، أما بالنسبة للطبقة الوسطى منها 92 % أوروبيون فقد كان دخلهم السنوي هو 227000 فرنك وأما فيما يخص الطبقة البرجوازية فكان الدخل يقدر ب 15000.000 فرنك .

أما من حيث التجهيزات كانت مزارع الأوروبيين مجهزة ب 19509 من الجرارات بينما المسلمون فيملكون سوى 418 جرار ، فقطاع الأوروبيين كان ينتج 9.74 قنطارا ، أما المسلمين فكان انتاجهم سوى 4.65 قنطارا .

أما التجارة فقد تحكمت الإدارة الفرنسية في الصادرات والواردات وفي فرض الضرائب على التجار الجزائريين ، ولم يكن للمواطن الجزائري سوى العمل في الأراضي التابعة لفرنسا ليقتات منها ، فالجزائر كانت مقسمة إلى قطاعين قطاع حديث تابع لفرنسا وقطاع تقليدي محلي ، حيث هذا الانقسام أثر في العائلات الجزائرية ومنها عائلة مالك بن نبي من إحدى العائلات التي قررت الرحيل إلى مناطق أخرى . [1]

المطلب الثالث : الأوضاع الاجتماعية ، الثقافية والدينية

قام الاحتلال الفرنسي في الجزائر ببذل كل ما في وسعه من أجل محو شخصية المجتمع الجزائري وتغيير بنيته الإسلامية بفرض سياسة الإدماج والاستيطان بهدف إذابة المجتمع الجزائري في المجتمع الأوروبي بعد أن تغلغل في أعماق المدن والأرياف الجزائرية .[2]

حيث سنة 1954جاءت دراسة تبين مستوى الحياة في الجزائر أن عدد سكان القطر بلغ تسعة ملايين و528 ساكنا منهم ملون و42000 أوروبي وكان السكان الأوروبيون يمثلون 10% من مجموع السكان .[3]

[1] عبد الرحمان رزاقي ، سياسة التسلط والحركة الوطنية الجزائرية 1930-1954 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ط1، الجزائر، 2002 ،ص66

[2] يحيى بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954 ، ديوان المطبوعات الجزائرية ، دون طبعة ، الجزائر ، ص ص 41-42

[3] أبو القاسم سعد الله ، مرجع سايق ، ص 26.

فالمجتمع الجزائري في ظل السلطة الأجنبية أخذ يفقد مقوماته القديمة كالقبيلة أو الطرق الصوفية أو المدن الإسلامية ذات الحضارة العريقة التي أنشأت مكانها مستوطنات للمهاجرين الأوروبيين وتفكك الحياة الاجتماعية التي كانت تقوم على الوحدة العشائرية وتحويلها إلى جماعة قائمة فردية.[1]

نتيجة القوانين الخانقة وفشل المقاومات الشعبية في صد نفوذ الاستعمار ، فسلب الأراضي الزراعية للجزائريين التي كانت مصدر عيشهم زاد من تدهور الحياة الاجتماعية في الجزائر مما أدى إلى ظهور الفقر والمجاعة والأمراض التي حصدت العديد من أرواح الجزائريين وانتشار البطالة ، كما فرضت عليهم الضرائب التي أنهكت كاهلهم ، مما أدى إلى هجرة الجزائريين نحو أوروبا والدول الاستعمارية للبحث عن لقمة العيش .[2]

أما فيما يخص الأوضاع الثقافية كانت صورة حية لسياسة التجهيل التي انتهجتها السلطات الفرنسية تماشيا مع الأساليب الاستعمارية العامة التي تهدف إلى إبقاء الاستعمار مدة أطول في البلدان ، فأول عنصر بدأت به فرنسا في الجزائر هو محاربة اللغة العربية والدين وثقافتها الإسلامية ونشر اللغة الفرنسية بدلا منها ، فاستولت على معاهد الثقافة والمساجد والمدارس والزوايا ، وتم تحويل معظمها إلى كنائس وثكنات عسكرية .[3]

فكان طفل واحد من عشرة أطفال يذهب إلى المدرسة ، بينما الأطفال الأوروبيون تقربا كانوا يدرسون ، فقد بلغت نسبة الأمية 94 % في الرجال المسلمين و98% في النساء المسلمات ولم يدخل التعليم الثانوي من المسلمين سوى 7000 تلميذ أما التعليم العالي سوى 685 طالبا .[4]

ففقد واصلت فرنسا سياستها الدينية في الجزائر ، فالمؤسسات بقيت تحت سلطتها وتعيين رجال "الديانة" الإسلامية كان يتم بقرارات منها والأوقاف والقضاء والجمعيات الحرية الإسلامية كانت تابعة كلها لإدارة الشؤون أهلية بالولاية العامة .[5]

وتحطيمها لمصادر الثقافة المنتشرة في الجزائر ، وقتل الأئمة والمدرسين ، تم فتح مدارس لنشر التعليم الفرنسي بحيث ارتكزت المناهج التعليمية على التاريخ وجغرافيا فرنسا بدل الجزائر والعالم الإسلامي ، كما قامت بحملات التبشير والتنصير وذلك للقضاء على الدين الإسلامي .[6]

[1] صلاح العقاد ، الجزائر المعاصرة ، معهد الدراسات العربية العالمية ، القاهرة ، جامعة الدول العربية ، 1964 ، ص 70 .

[2] عمار بوحوش ، التاريخ الساسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962 ، دار الغرب الإسلامي ، ط1،بيروت ، ص من 208-210 .

[3] يحيى بوعزيز ، مرجع سابق ، ص ص 60-61 .

[4] أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ص 13 .

[5] أبو القاسم سعد الله ، نفس المرجع ، ص 42 .

[6] بشير فلاح ، تاريخ الجزائر المعاصر ، ج1، 1830-1989 ، دار المعرفة ، دون طبعة ، 2006 ، ص ص 152-153 .

المبحث الثاني: مولده ونشأته، رحلاته

حياة مالك بن نبي كانت مليئة بالأحداث على مستوى الشخصي والعالمي، فقد تزامنت ولادته مع التطورات الحاصلة في الجزائر والعالم العربي الإسلامي المعاصر.

إن تقديم لمحة واضحة عن حياة مالك بن نبي، ليست بالسهلة لندرة المصادر التي يمكن الاعتماد عليها في ذلك، لذا سنحاول أن نتناول في هذا المبحث أهم مراحل حياته من مولده إلى وفاته –رحمه الله –ورحلاته المختلفة الملل والطبائع.

المطلب الأول :مولده ونشأته

عان مالك بن نبي في حياته حيث عاش ويلات الفقر والدمار والاستعمار لهذا سوف نحاول التعرف على شخصيته وأهم المراحل التي عاشها ومر بها في سيرة حياته .

أولا – مولده:

هو مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن مصطفى بن نبي ، ولد في مدينة قسنطينة في السادس من ذي القعدة من سنة 1323 الموافق للثامن و العشرين من كانون الثاني يناير من سنة 1905 [1]من عائلة محافظة فقيرة ،ومن المهد تلقى رعاية تربوية من والديه اللذين حرصا على رعايته وتربيته، خوفا من تلوثات المستعمر من كون العائلة ملتزمة بالتقاليد الدينية.[2]

ويقول كان مولدي في الجزائر عام 1905 أي في زمن كان يمكن فيه الاتصال بالماضي عن طريق آخر من بقي حيا من شهوده ، والإطلال على المستقبل عبر الأوائل من رواده.

وهكذا إذن فقد استفدت بامتياز لا غنى عنه لشاهد ،حينما ولدت في تلك الفترة.[3]

يعد مالك بن نبي نفسه من أولئك المحظوظين الذين سمحت لهم الأقدار أن يولدوا في زمان يعتبر صلة وصل بين ماض عريق انطفأ نجمه ومستقبل لا يزال في بداية صياغته وتشكله.[4]

---

[1] عبدالله بن حمد العويسي، مالك بن نبي حياته وفكره ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ، ط1 ، بيروت2012 ،ص 51.

[2] زكي ميلاد، مالك بن نبي مشكلات الحضارة دراسة تحليلية و نقدية ،دار الفكر المعاصر بيروت ، ط1 ،1998 ص 38.

[3] مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن ،القسم الأول الطفل دار الوعي للنشر والتوزيع ، ط1 ، الجزائر ، 2013 ص 15

[4] عبداللطيف عبادة، صفحات مشرقة من فكرمالك بن نبي ، ،دار الشهاب للطباعة والنشر ، ط1 ، الجزائر 1984 ص 33.

ثانيا – نشأته

لقد نشأ مالك في أسرة متدينة لها اطلاع على مجريات الأحداث متأثرة بالواقع الأليم الذي أصاب الجزائر[1] في عائلة معسورة الحال شأنها في ذلك شأن الكثير من العائلات الجزائرية آنذاك ،وكان الابن الوحيد للعائلة مع شقيقتين.[2]

كنت في السادسة أو السابعة من عمري ، وكان وضع عائلتي قد ساء ماديا فجدي لأبي باع كل ما تبقى بحوزته من أملاك العائلة وهجر الجزائر المستعمرة ليلجأ إلى طرابلس الغرب.

لقد كانت هذه الفترة من حياة عائلتي شديدة العسر، إذ مات عمي الأكبر في قسنطينة وكان قد تبناني منذ أمد بعيد مما جعل زوجه تعيدني إلى أهلي في تبسة على الرغم مما خلف ذلك من أسى في نفسها ونفسي ، لقد فعلت ذلك لأن مواردها لم تعد تسمح لها بإعالتي.[3]

فكانت والدته تشتغل بالخياطة لسد حاجيات البيت ، قبل أن يعمل زوجها موظفا إداريا. تابع مالك دراسته الابتدائية في تبسة وتعلم فيها جزءا من القرآن. [4]

نال شهادة الدراسة الابتدائية بدرجة جيد ، انتقل بعدها إلى التعليم الثانوي بقسنطينة فكان يحضر دروس الفقه للشيخ ابن العابد و دروس النحو العربي والصرف على الساعة السابعة من كل صباح قبل الالتحاق بالثانوية في الجامع الكبير.[5]

لم يقبل مالك في الكلية (lycée) فقد كان من الصعوبة على طالب من أبناء المستعمرات أن يرسل بعد الابتدائية إلى هذه المرحلة أضف إلى ذلك أن درجة جيد التي حصل عليها في الابتدائية كانت عائقا أيضا ، مع أنه كما يذكر كان يستحق أكثر من جيد، ولكن الدرجة التي هي أفضل منها أعطيت لطالب فرنسي.

ولكن مالك حصل على منحة لمتابعة دروسه في التكميلية في قسنطينة، في مدرسة (سيدي الجلي)، إذ يحضر الطالب خلال سنة أو سنتين للدخول إلى المدرسة، أو إلى (معهد المعلمين)وهو تعليم يساعد الطالب يكون (مساعدا قضائيا) أو (مساعد طبيب)....

---

[1] حسن موسى محمد العقبي، مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة ،رسالة ماجستير قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ،كلية أصول الدين الجامعة الإسلامية غزة 2005 ص 28.

[2] لويزة لعميري ، نظرية الثقافة عند مالك بن نبي ، رسالة ماجيستير، كلية الآداب واللغات ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، 2014، ص 13

[3] مالك بن نبي ، مذكرات شاهد القرن ، ص 18

[4] مولود عويمر ، مالك بن نبي رجل الحضارة مسيرته وعطاؤه الفكري ، دار الأمل للطباعة والنشر ، تيزي وزو ، 2007 ، ص 11

[5] الأخضر شريط ، مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي ، رسالة ماجستير ، معهد الفلسفة ، جامعة الجزائر ، 1989 ، ص 174 .

وفي (المدرسة) يتعلم الطالب الفرنسية و العربية و الدين، وهذه رغبة والده ، أن يتخرج مساعدا قضائيا.[1]

فلم يدخل المدرسة وقسمها الداخلي إلا في العام الدراسي 1922/1921 ،حيث يبدو أنه ظل يتأهل لدخولها، وكان يحضر مجالس العلماء المسلمين، التي أسسها الشيخ عبد الحميد بن باديس وكان يحضر بعض فعاليتها، وهي الجمعية التي لعبت الدور الأكبر في استنقاذ العروبة والإسلام من الطمس والاجتياح الثقافي الفرنسي.[2]

وفي النهاية حالفه النجاح فدخل إلى المدرسة (الرسمية) سنة 1923 وفي تلك الاثناء نهل مالك بن نبي من مناهل الأدب العربي والأدب الفرنسي واغترف من معين الإصلاح فطالع من ما بين ما طالع أم القرى للكواكبي وابن خلدون ورسالة التوحيد لمحمد عبدة التي ترجمت إلى الفرنسية من طرف الشيخ مصطفى عبد الرزاق كما طالع للوتي ولامارتينيو شاطو بريان وغيرهم وكان مولعا بمطالعة الصحافة العربية و الفرنسية من جريدة لومانيتي واطلع على ما يجري في العالمين الإسلامي والغربي من تحولات فكرية وسياسية وعلى ما يجري على الساحة الجزائرية من أحداث سياسية إصلاحية ثقافية.[3]

أكمل الثانوية سنة 1925 وفكر بالمستقبل، فسافر مع صديقه كعادة كثير من الشبان الجزائريين آنذاك للبحث عن عمل لائق وعندما لم يجد عملا مناسبا عاد إلى الجزائر[4].

بعد العمل التطوعي في محكمة تبسة جاءه الجواب من النيابة العامة تعرض عليه العمل في ثلاث محاكم كمعاون قضائي واختار محكمة (أوفلو)، كان ذلك في عام 1927 حين وصل مالك إلى أوفلو في منطقة وهران غربي الجزائر، هنا وجد مالك الجزائر المفقودة ، الجزائر البكر، بعيدة عن أيدي الاستعمار.[5]

كانت(أوفلو) بالنسبة لي مدرسة تعلمت فيها أن أدرك فضائل الشعب الجزائري الذي لايزال بكرا، وكلت هذه فضائله بالتأكيد في سائر أنحاء الجزائر قبل أن يفسد منها الاستعمار[6].

ثم تم نقله إلى محكمة شلغوم العيد ،إلا أنه استقال بسبب حدوث خلاف بينه وبين كاتب محكمة الصلح الكورسيكي.[7]

---

[1] محمد العبدة ، مالك بن نبي ، مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي ، دار القلم ، ط1 ، دمشق 2006 ، ص ص 24-25

[2] فؤاد عبد الرحمن البنا، كتاب الأمة، العروج الحضاري بين مالك بن نبي وفتح الله جولن ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ط1 ، قطر، 2013،ص 38.

[3] عبداللطيف عبادة، مرجع سابق، ص ص 34-35.

[4] فؤاد عبد الرحمن البنا، ،مرجع سابق، ص 38.

[5] محمد العبده، مرجع سابق، ،ص 30.

[6] مالك بن نبي ، مذكرات شاهد القرن ،مرجع سابق ،ص184

[7] بشير ضيف الله ، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي ، منشورات المجلس الأعلى ،الجزائر،2005،ص 21.

وأبت نفسه الأبية، إلا أن يتقدم باستقالته إلى المحكمة سنة 1928 عاد إلى تبسة ليشتغل بالتجارة مع صهره وشريك ثالث، غير أنه أصيب هو وشركاؤه بإفلاس اضطرهم إلى بيع الطاحونة.[1]

وكان بسبب فشله أيضا الازمة الاقتصادية العالمية سنة 1929.[2]

المطلب الثاني : رحلاته

سوف نحاول أن نطل على عوالم مالك بن نبي من خلال التعرف على أهم الرحلات التاي قام بها في حياته .

أولا –الهجرة إلى فرنسا 1930:

بعد أن حصل بن نبي على الشهادة الثانوية من المدرسة الفرنسية في الجزائر وبعد أن خاض عدة تجارب علمية لغرض تأمين المعيشة ومن سوء الحظ كانت متعثرة، قرر أن يواصل دراسته في الخارج و الخيار الذي يلوح في الأفق أمامه هو الدراسة في فرنسا.[3]

لم تكن افكاري قد اتسقت بعد مع وضعي الجديد، منذ نزلت في صبيحة يوم شهر أيلول (سبتمبر)عام 1930، بمحطة ليون بباريس وإنما الشيء الوحيد الذي قررته هو أننى لا أعود هذه المرة إلى الوراء مثلما عدت المرة الاخيرة.[4]

لم يكن استقبال باريس لمالك استقبالا طيبا، إذ استقبلته بوجهها السيء حيث لم يتمكن من الحصول على سكن في الجهة التي كان يقصدها فاستقر في فندق متواضع في شارع صغير تؤمه بنات السوء، ولكنه لم يصدم بذلك الوجه السيء لباريس حيث كان يطمح إلى اكتشاف جوانبها الأخرى بحثا عن أفق جديد.[5]

والهم عنده هو الانتساب لمعهد الدراسات الشرقية ليكمل بعدها دراسة الحقوق كما يرغب والده.

وتقدم للمعهد، ولم يكن اختيار القبول صعبا، وثقافة مالك تؤهله للنجاح ، ولكنه مع –خيبة الأمل– لم ينجح.[6]

---

[1] عبد اللطيف عبادة، مرجع سابق ،ص 35.

[2] الأخضر شريط، ، مرجع سابق ،ص 175.

[3] زكي ميلاد، مرجع سابق ،ص 42.

[4] مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، ص 203.

[5] عبدالله بن حمد العويسي ، مرجع سابق، ص ص 90–91

[6] محمد العبدة، مرجع سابق، ص 33.

وليس هذا كل ما في الأمر، بل لقد طلبني مدير المعهد، وهي هدوء مكتبة الوقور شرع يشعرني بعدم الجدوى من الإصرار على الدخول إلى معهده، فكان الموقف يجلي لنظري بكل وضوح هذه الحقيقة ،إن الدخول لمعهد الدراسات الشرقية لا يخضع –بالنسبة لمسلم جزائري– لمقياس علمي وإنما لمقياس سياسي.[1]

وتعرف هناك على تنظيم "الوحدة المسيحية للشبان البارسيين" وفقا لتطلعات شباب تلك المرحلة ،فأصبح عضوا فاعلا[2] ، وإلى جانب دراسته التخصصية قرر أن يوسع من دراساته العلمية بدافع الطموح فالتحق بأحد المعاهد الليلية لدراسة الكيمياء التطبيقية بالإضافة إلى تكثيف مطالعته في أقسام الهندسة والكيمياء والفيزياء والرياضيات.[3]

وفي مكتبة جنفييف، تعرف على امرأة فرنسية مسيحية تزوج بها عام 1931، بعد أن أسلمت وسمت نفسها خديجة[4] ، وأحس بالاستقرار بهذا الزواج، وتهيأت له القاعدة النفسية المساعدة للتركيز العلمي والتحصيل الدراسي.[5]

تعرف إلى مجموعة من العلماء، و المفكرين أهمهم المستشرق ماسينيون والمهاتما غاندي إضافة إلى منحنى الفكر لدى "شكيب أرسلان" عن طريق فريد زين الدين.[6]

ألقى بن نبي محاضرته الأولى في ديسمبر 1932 وكان عنوانها: " لماذا نحن مسلمون " فكانت مفتاح شهرة له في الوسط الثقافي الطلابي في باريس[7].

وفي صيف عام 1932 عاد إلى الجزائر وكان من عادته أن يرجع إلى بلاده كل عطلة صيفية، ونتيجة تشبعه بالأفكار الاصلاحية، قد استشعر مدى تنامي وانتشار الحركة الاصلاحية في مختلف ربوع البلاد.[8]

وبقي في ذهاب وإياب بين فرنسا والجزائر يشهد التطورات الفكرية والسياسية في أوروبا والعالم الاسلامي وفي الجزائر خاصة، حيث كان يتابع باهتمام خاص تطور الحركتين الوطنية والإصلاحية ويعاضدهما بفكره

[1] مالك بن نبي مذكرات شاهد القرن، مرجع سابق القسم الثاني الطالب ص 216.
[2] بشير ضيف الله ، مرجع سابق ،ص21.
[3] زكي ميلاد، مرجع سابق ص 43.
[4] مولود عويمر ، مرجع سابق ص 14.
[5] زكي ميلاد، مرجع سابق ص 43.
[6]أ بشير ضيف الله، مرجع سابق ص 22.
[7]د.مولود عويمر ، مرجع سابق ص 15.
[8]زكي ميلاد ، مرجع سابق ص 44.

ونضاله، يتأسف لتعثرهما ويبتهج بانتصاراتهما ويبلور اهدافها ومبادئها في إطار المشروع الحضاري الكامل الذي يدافع عنه.[1]

وفي صيف عام 1943 فجع بوفاة والدته قبل أن يتخرج بسنة واحدة وبعد أن أتم دراسته تخرج في عام 1935 مهندسا كهربائيا .[2]

في سنة 1938 أسس بعض العمال الجزائريين بمدينة مارسيليا نادي المؤتمر الجزائري الإسلامي للثقافة فاستدعى مالك بن نبي للإشراف عليه.[3]

وفي يوم 22 أيلول (سبتمبر) عام 1939 تسلقت الباخرة بميناء عنابة مع زوجي، وعندما بدأت الأرض الجزائرية تغيب في الأفق وجدت نفسي أقول وأنا متكئ على حافة الباخرة يأرضا عقوقا !.. تطعمين الأجنبي وتتركين أبناءك للجوع، إنني لن أعود إليك إن لم تصبحي حرة![4]

قام الأستاذ مالك بن نبي برحلات كثيرة إلى عدة أنحاء من العالم "الصين وأندونيسيا وأمريكا والاتحاد السوفياتي، وعاش في أوروبا في فرنسا وفي ألمانيا وفي البلاد العربية حج عدة مرات.[5]

ثانيا: مالك بن نبي في القاهرة 1956

سافر مالك بن نبي إلى مصر في عام 1956 بعد أن زارها زيارات سريعة في السنوات السابقة واستقر بالقاهرة[6]، حيث كان يعقد في منزله ندوات أسبوعية يؤمها طلاب المعرفة[7] ويقصده الطلاب من جميع أنحاء العالم الإسلامي من جاكرتا إلى طنجة، فكانت تجري المناقشات الحية والتحليلات الدقيقة فاستيقظت عقول وتنبهت أذهان وبرزت حقائق ، وران على البصائر[8] فانقطعت بذلك زياراته لفرنسا رغم وجود زوجته بها وإنما ظل يراسلها من القاهرة[9]،لم يعد إلى فرنسا نهائيا ولم تغادر هي بلادها، وفي تلك الأثناء تزوج من احدى قريباته في الجزائر[10]وقد رزق منها بثلاث بنات هن إيمان ونعمة ورحمة.[11]

---

[1] عبداللطيف عبادة ،مرجع سابق ص 36.

[2] زكي ميلاد، مرجع السابق، ص 45.

[3] مولود عويمر ،مرجع سابق ص 16.

[4] مالك بن نبي مذكرات شاهد القرن القسم الثاني الطالب ، ص 428.

[5] عمار الطالبي، دراسات في الفلسفة وفي الفكر الإسلامي، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت،2005 ص 539.

[6] مولود عويمر ، مرجع سابق ص 20.

[7] شايف عكاشة، صراع الحضاري في العالم الإسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، 1993 ص 07.

[8] عمار الطالبي، مرجع سابق ص 539.

[9] بشير ضيف الله، مرجع سابق ص 22.

[10] فؤاد عبدالرحمن البنا، مرجع سابق ص39

[11] عبد الله بن حمد العويسي ،مرجع سابق ،ص 125.

وفي القاهرة بدأت مرحلة جديدة في حياة بن نبي الفكرية تأثرا وتأثيرا ، اتصل بجمال عبد الناصر وخصصت له الحكومة المصرية مرتبا شهريا ،مما ساعده على التفرغ الفكري.[1]

وبعد أن خلق بن نبي له مكانة لها وزنها الثقافي في القاهرة ،اختير مستشارا للمؤتمر الإسلامي بالقاهرة وتحت هذا الإطار شارك في عدد من المؤتمرات. وفي سنة 1959 قام بزيارة كل من سوريا و لبنان وشارك فيها بإلقاء عدد من المحاضرات في منتدياتها الثقافية.

وبقي في القاهرة حتى سنة 1963، حين انتصرت الثورة الشعبية في الجزائر.[2]

ثالثا : عودته إلى الجزائر 1963

وفي سنة 1963 عاد إلى الجزائر وواصل الكفاح في جبهة الفكر، وفي ميدان الكلمة، وما لبث منزله أن أصبح منتدى التوجيه، ومجالس لإيقاظ العقل من مرقده، وبعث التفكير من ركوده، فأم منتداه الشباب الجامعي من مختلف الكليات وخاصة كليات العلوم والطب والهندسة فأحرى بمجالسة أن توسم " بمجالس التفكير" وأولى بمنزلة أن يدعى "بيت المحكمة".[3]

تنقل في عدة مناصب حكومية جميعها كانت في حقل التربية والتعليم حيث عين مستشارا للتعليم العالي ثم مديرا لجامعة الجزائر وبعد ذلك مديرا للتعليم العالي.[4]

كتب مقالات ما بين 1964 – 1968 في المجلة الأسبوعية الثورة الافريقية، وصحيفة المجاهد التابعتين لحزب جبهة التحرير الوطني، ولا تخلو كتاباته من نقد للأوضاع الداخلية وسوء تسيير شؤون البلاد في مختلف القطاعات.[5]

وفي عام 1967 استقال مالك بن نبي من منصبه، وأسس ندوة فكرية في بيته التي جمع فيها نخبة متميزة من الطلاب والمثقفين، كما أصدر كتاب (أعمال المستشرقين).[6]

عمل مالك بن نبي في سبتمبر 1968 على فتح أول مسجد بالجامعة المركزية بالجزائر العاصمة ، وفي نفس السنة عقد المؤتمر الأول في ثانوية عمارة رشيد بمدينة بن عكنون ملتقى التعرف على الفكر الإسلامي.[7]

---

[1] زكي ميلاد ، مرجع سابق ص ص 37-38

[2] زكي ميلاد، نفس المرجع ص 50

[3] عمار طالبي ،مرجع سابق ص 539.

[4] زكي ميلاد، مرجع سابق ص 50.

[5] مولود عويمر ، مرجع سابق ، ص 27.

[6] العابد ميهوب، الفكر التربوي عند مالك بن نبي، رسالة دكتوراه كلية العلوم الاجتماعية جامعة محمد خيضر بسكرة2013 /2014 ص 44.

[7] العابد ميهوب ، نفس المرجع ص 64.

في سنة 1971 زار مالك بن نبي سوريا و لبنان وأودع وصية في 16 ربيع الثاني 1391هـ الموافق ل 10 حزيران 1971 حمل فيها الأستاذ "عمر مسقاوي" مسؤولية نشر كتبه.[1]

وفي عام 1972 قام بأداء فريضة الحج، وفي طريقة توقف في دمشق وكانت محاضرته لها وقع متميز في نفوس الحاضرين وحملت هذه المحاضرة عنوان "دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين" وقد عبر البعض هذه المحاضرة على أنها وصيته الأخيرة.[2]

وفي الجزائر وأثناء رحلته إلى مدينة الأغواط اشتد به المرض فسافر إلى فرنسا لإجراء عملية جراحية ، وبعد ثمانية أيام من رجوعه إلى الجزائر[3] إلى أن التقى بالحق المتعال يوم الأربعاء في 4 شوال 1393هـ الموافق ل 31 أكتوبر 1973 على الساعة الحادية عشر وخمسة عشر دقيقة مساء بمنزله.[4]

[1] العابد ميهوب، نفس المرجع ص 65.

[2] زكي ميلاد، مرجع سابق ص 51.

[3] محمد العبدة، مرجع سابق ص 44.

[4] عمار الطالبي ، مرجع سابق ص 540.

المبحث الثالث: إنتاجه الفكري

يحتل مالك بن نبي في جميع أوساط الفكر المعاصر مركزا حسنا إذ أسهم في علاج كثير من مشكلات العالم سلسلة كتبه التي ألفها، فأفكاره كثيرا ما يستشهدون بها في المطارحات الفكرية والندوات العالمية .

المطلب الأول : مؤلفاته (آثاره).

رحل المؤلف والفيلسوف الجزائري مالك بن نبي تاركا وراءه موسوعة من الأفكار التي استمدها من تعمقه وبحثه في العلاقات الاجتماعية والحضارة العالمية عامة والإسلامية العربية خاصة.[1]

يقول د. أحمد السحمراني :" كان مالك غزيرا في إنتاجه الفكري، بعض مؤلفاته وضعت ككتب، وبعضها مجموعة محاضرات نسقت في كتب، معظم ما كتبه بالفرنسية ومن ثم كان يستعين ببعض طلابه أو أصدقائه لتعريبها..."ليترك بذلك رصيدا فكريا هائلا.[2]

يمكن أن نصف أثاره هذا النحو التالي :[3]

أولا – مؤلفات وقضايا ذات بعد عالمي

1–شروط النهضة مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر 1948م

2–فكرة الأفريقية الآسيوية ،القاهرة،1956م

3–مشكلة الثقافة ،دار العروبة ،القاهرة 1960م

4–الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار العروبة، القاهرة 1960م

5–تأملات في المجتمع العربي، دار العروبة، القاهرة ،1961م

6–في مهب المعركة، القاهرة، 1961م

7–ميلاد مجتمع ، دار العروبة، القاهرة 1962م

8– بين التيه والرشاد ، دمشق 1988 م

9–من أجل التغيير ،دمشق 1995 م

[1]عبد القادر رزيق المخادمي ،فضاءات حرة في الاقتصاد والدين والثقافة دار هومة للطباعة والنشر ، الجزائر،2002 ص 265.

[2]بشير ضيف الله ، مرجع سابق ص 23.

[3]لويزة لعميري ، مرجع سابق ، ص 18.

10-القضايا الكبرى ، بيروت ، 1991 م

11- الصعوبات علامة النمو في المجتمع العربي، دار العروبة القاهرة 1969م

12-حديث في البناء الجديد، بيروت، 1959م

ثانيا- مؤلفات تعالج قضايا وطنه على غرار البلدان العربية والإسلامية الأخرى :

1-الظاهرة القرآنية، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر 1946م.

2-وجهة العالم الإسلامي باريس،1954

3-فكرة كومنولث إسلامي، المكتب الفني للنشر، القاهرة 1960م.

4-آفاق جزائرية، مكتبة النهضة الجزائرية ،الجزائر 1964م

5-تأملات في المجتمع العربي، دار العروبة، القاهرة ،1961م.

6-مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي مكتبة عمار القاهرة 1971م.

7-المسلم في عالم الإقتصاد ، بيروت 1972م.

8-دور المسلم في الربع الأخير من القرن العشرين الدار العلمية بيروت 1979م.

9-النجدة للجزائر ،القاهرة 1957م.

10-الاستعمار يلجأ إلى الاغتيال بوسائل العلم، دار الجهاد ،القاهرة ، 1960م.

ثالثا-أما بالنسبة للإنتاج الأدبي :

1- لبيك (الرواية الوحيدة)مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر 1947م

2-مذكرات شاهد القرن ،الشركة الوطنية للطبع والنشر والتوزيع ، الجزائر 1965م

3-مذكرات شاهد القرن (القسم الثاني)الطالب، دار الفكر بيروت 1970م.

4-العفن وقد كتبه آخر حياته بالفرنسية.

ولمالك بن نبي آثار لم تطبع وهي في صورة مخطوطات ونذكر منها :[1]

1-خطاب مفتوح لخروتشوف وأبرنهاور.

2-العلاقات الاجتماعية وأثر الدين فيها.

3-كتاب حول المشكلة اليهودية.

4-اليهودية أم النصرانية.

5-دراسة حول النصرانية.

6-مجالس تفكير تسجل بعضها أثناء مجالسه وندواته التي كان يعقدها اسبوعيا مع طلبة الجامعة وبعض أساتذتها .

7-مجالس دمشق .

8-مولد مجتمع إسلامية

9-مذكرات شاهد القرن(القسم الثالث)

10-نموذج لمنهج ثوري، باللغة الفرنسية.

المطلب الثاني :آراء العلماء والمفكرين في مالك بن نبي

مهما حاولنا أن نحدد موقع- مالك بن نبي- على صعيد الفكر العربي وتداعياته مشرقا ومغربا، فإننا لا نفي الرجل حق قدره، لكن مهمتنا في كل هذا ما عبر عنه كثير من المثقفين والمفكرين العرب ممن عاصروه أو جاءوا بعده، بعد اطلاعهم على منحناه الفكري ، ومواقفه على أكثر من صعيد فقد كان مفكرا ومصلحا ومنظرا بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى.[2]

كيف نفسر رواج فكر وكتب مالك بن نبي في العالم الإسلامي؟

[1] ياسمينة كتفي ، التحولات الاجتماعية في نظر مالك بن نبي ، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية ، المجلد 09، العدد 01 ، المسيلة ، 2019 ، ص ص 77و 94

[2] بشير ضيف الله ، مرجع سابق ، ص 25

لا يمكن لأحد أن ينكر عبقرية مالك بن نبي ولا منهجه الرائد في دراسة مشكلات الحضارة إلى أن هناك عوامل أخرى ساهمت بلا شك في انتشار كتبه وأفكاره تتمثل في تقديمها للقراء بمدح من طرف علماء ومفكرين كبار.[1]

أولا . وقد عبر **الدكتور محمد مبارك** عن اعجابه بشخصية هذا المفكر الكبير رمز المرحلة الجديدة "مرحلة التحرر من التبعية الفكرية للاستعمار" فقال : إن مالكا يبدو في كتاب "وجهة العالم الإسلامي " وفي مجموع آثاره لا مفكرا كبيرا وصاحب نظرية فلسفية في الحضارة فحسب بل داعيا مؤمنا يجمع بين نظرة الفيلسوف المفكر ومنطقه وحماسه الداعية المؤمن وقوة شعوره .

وإن النشوة التي غمرت الدكتور محمد مبارك وهو يطالع كتب مالك بن نبي جعلته يقول في عبارات شاعرية: " أنا لا اقول أنه ابن نبي ولكنني أقول أنه ينهل من نفحات النبوة ويشيع الحقيقة الخالدة.[2]

ثانيا – يقول **الدكتور مصطفى السباعي:** أنه استطاع بأسلوبه الذي يوجه إليه انظار جيل من شبابنا المثقف الذي يتوق إلى الاصلاح مع احتفاظه بقوة العقيدة وسلامة التفكير، وبدأ يرى في الأستاذ بن نبي رائده الفكري البعيد النظرة القوي الإيمان المناضل بقلمه في سبيل الإسلام "مما يعني أن مالكا استقطب بفكره طلائع الشباب العربي التواق إلى وجهة راكدة عنوانها الردة والاستعمار والضعف.[3]

ثالثا . وقد قال الأستاذ **محمود محمد شاكر:** بعد أن اطلع على خفايا الصراع الفكري وعلى تقنياته السيكولوجية الجهنمية كما كشفها له ولنا جميعا مالك بن نبي :" فهذا المفكر الخبير قد استطاع بحسن إدراكه وبقوة بيانه وبدقة ملاحظاته أن يفتح عيوننا على الخيوط التي تسبح منها حياتنا تحت ظلام دامس قد أطلقه المستعمر ليخفي عنا مكره وخداعه لنا.

رابعا . أما زميله **الدكتور عبد العزيز الخالدي:** الذي كان أعرف الناس به و بدقة نقده وعمق تحليله وصرامة منطقه يقول لنا :"إن تكوين المؤلف كمهندس قد ساعده دون شك على التصور الفني للأشياء، ولكن ثقافته المزدوجة تسمح له بأن يصل هذا التصور بالخطة الإنسانية بنفس الثقة التي تطيح خاتمته المؤثرة.[4]

خامسا . وهنا أيضا **المفكر السوري جودت سعيد** : الذي حاول أن يقتفي أثاره في مؤلفاته ، وقد قدم له ابن نبي كتابه المعروف "حتى يغيروا ما بأنفسهم" وهو الكتاب الذي عنونه جودت سعيد لهذا الجزء من الآية القرآنية التي

---

[1] مولود عويمر ، مرجع سابق ، ص 34

[2] عبد اللطيف عبادة ، مرجع سابق ، ص 40

[3] بشير ضيف الله ، مرجع سابق ، ص 26

[4] عبد اللطيف عبادة ، مرجع سابق ، ص ص 40-41

أكثر ابن نبي من الاستدلال بها كما لم يفعل مع أي آية أخرى.[1]

فالأستاذ جودت سعيد التي أثرت كتاباته في قطاعات واسعة من حركة الصحوة الإسلامية المعاصرة ولا زالت تؤثر، يذكر بأن تحولا فكريا ومنهجيا كبير حدث في حياته، عندما وقع في يده كتاب "شروط النهضة" لمالك بن نبي، بعد تخرجه من الأزهر فكان ذلك المحطة الكبرى في مسيرته الفكرية.

وقد بلغ تجاوب الأستاذ جودت سعيد مع أفكار مالك بن نبي ومنهجه التحليلي النقدي التكاملي، أنه كان يدرس كتب مالك بن نبي في حلقات لفترات طويلة كانت تحضرها نخبة متميزة من رجالات ونساء الصحوة.[2]

سادسا . أما **اللبناني عمر مسقاوي** :الذي قام بجمع تراثه ونشره و المحافظة على حقوق ورثته.[3]

يقول الأستاذ عمر مسقاوي: " تنطلق أفكار بن نبي لا لتصنف في المجتمع الإسلامي معرفة جديدة بالفقه أو علما مستخلصا من تجارب الحضارة الحديثة ،بل لتنظيم هذه المعارف في مفاهيم تربوية تسير بالإنسان خطوة متقدمة فهو يطرح الإسلام كملهم لقيمنا، وقادر على استعادة دور الإنسان مبرأ من نقل الحضارة الإمبراطورية وهو يرى أن الإسلام لا يقدم إلى العالم ككتاب وإنما كواقع اجتماعي يسهم بشخصيته في بناء مصير الإنسانية.[4]

سابعا كما نشير إلى دور الأستاذ الكبير **الدكتور عبد السلام الهراس** :الذي يعتبر جسرا أساسيا إن لم يكن فعلا الجسر الأساس الذي عبر عليه فكر مالك بن نبي نحو أجيال الصحوة ابتداء من منتصف الخمسينات من القرن الماضي، حينما تمكن من اكتشاف مالك بن نبي في القاهرة ونجح في جمع بعض الطلبة من أقطار عربية وإسلامية مختلفة حوله، فكان ذلك سببا مباشرا لترجمة كتب مالك بن نبي وانتشارها في العالم العربي ومنها إلى بقية العالم الإسلامي.[5]

ثامنا . أثرت كتب مالك بن نبي على النخبة في العالم الإسلامي كالأستاذ **راشد الغنوشي** المفكر الإسلامي التونسي الجريء صاحب الأطروحات المتميزة في الفكر والحركة الاجتماعية والسياسية ولكنه بعد اكتشافه لمالك بن نبي واتصاله به، تأثر به كثيرا وأضاف بذلك بعدا أساسيا لتجربته الفكرية والحركية.[6]

---

[1] فؤاد عبد الرحمن البنا ، مرجع سابق ص ص 41-42.

[2] الطيب برغوث ، آفاق في الوعي السنني محورية البعد الثقافي في استراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي ، دار الشاطبية للنشر والتوزيع ، ط1 ، الجزائر ، 2012 ، ص ص 26-28

[3] فؤاد عبد الرحمن البنا ، مرجع سابق ص 41.

[4] بشير ضيف الله ، مرجع سابق ، ص ص 27-28

[5] الطيب برغوث ، مرجع سابق ، ص 26

[6] الطيب برغوث ، نفس المرجع ، ص 28

تاسعا . ومن بين ما قاله عنه **أنور جندي:** مالك بن نبي يختلف كثيرا عن الدعاة المفكرين والكتاب، فهو فيلسوف أصيل له طابع العالم الاجتماعي الدقيق الذي أتاحت له ثقافته العربية و الفرنسية أن يجمع بين علم العرب وفكرهم المستمد من القرآن والسنة والفلسفة والتراث العربي الإسلامي الضخم، وبين علم الغرب وفكرهم المستمد من تراث اليونان والرومان و المسيحية.[1]

عاشرا . صنف المؤرخ العراقي **الدكتور عماد الدين خليل** 1939: مؤلفات مالك بن نبي وبالخصوص الظاهرة القرآنية ، وشروط النهضة ووجهة العالم الإسلامي ، من بين الكتب التي كان لها دور عظيم في مسيرة الحركة الإسلامية المعاصرة استشرافا وبرمجة وتقويما وإغناء وتكوينا.

ى عشر. أوجز المؤرخ المصري **الدكتور عبد الحليم عويسي1943** القيمة الحضارية للإنتاج الفكري لمالك بن نبي في هذه العبارات: قيمة التراث الذي خلفه لنا مالك بن نبي–رحمه الله–تتجسد أولا وأخيرا في أنه نقل الأفكار بعد قرون التخلف إلى مستوى الفعل الحضاري الإسلامي العصري، لقد أخرجها من قاع السكون والموت إلى شاطئ الحركة و الحياة.[2]

في أوروبا أسلمت شخصيات فكرية أوروبية بعد قراءة كتبه ولعل أشهرهم الدكتور بينوا الذي أسلم واختار اسم علي سلمان بعد أن قرأ كتاب " الظاهرة القرآنية ".

وقد كان لإسلام الدكتور بينوا صدى في الأوساط الإسلامية وكتب عنه الشيخ محمد العيد آل خليفة قصيدة شعرية طويلة بعنوان " تحية المسلم الجديد."

واعترف أيضا كاتب مسلم ألماني فرنسي ورئيس الجالية الإسلامية في هامبورج بالقيمة الفكرية لكتاب مالك بن نبي وتأثيرها على العقول.[3]

هذا وبالإضافة إلى هذا الإعجاب المسجل والمكتوب، كان مالك بن نبي محط اكبار واحترام من طرف جهابذة الفكر في العالم الإسلامي الذين كانوا يزورون الجزائر بين الحين والآخر أمثال الدكتور محمود قاسم و الدكتور علي سامي النشار و الدكتور عبد الحليم محمود وغيرهم...[4]

إن مالكا بموضوعيته في تحليل الأمور ومنهجية ودقته في اختيار الألفاظ كان بمثابة مرحلة النضج الفكري في الفكر العربي الإسلامي كدليل عمل للثورة وأسلوب مواجهة الاستعمار كما يقول الدكتور" أسعد السحمراني : لذلك فالمعركة معركة فكرة والفكرة لا تكون فكرة ما لم يعبر عنها!.

[1] بشير ضيف الله ، مرجع سابق ، ص ص 27–28

[2] مولود عويمر ، مرجع سابق ، ص 35

[3] مولود عويمر ،نفس المرجع ص 32–33.

[4] عبد اللطيف عبادة ، مرجع سابق ، ص 41

من هنا انضوى هذا المفكر المنبثق ذي الخاصية الجزائرية يحدد الأسباب ويضع البدائل ويبني مشروعه الذي كان فعلا بديلا حضاريا من منظور عربي إسلامي ناجح.[1]

[1] بشير ضيف الله، مرجع سابق ص 30.

خلاصة الفصل الأول

لقد عاش مالك بن نبي حياة كفاح بالفكر والقلم ، عاش بسيطا في حياته اليومية ، وقد رأى منذ طفولته أنه لم يخلق عبثا ، و أن له رسالة يجب عليه أدائها في هذا الوجود .

فالظروف والعوامل التي أحيطت بشخصيته صنعت منه إنسانا ناقدا وعلاقاته بأصدقائه المفكرين ، الإعلاميين .. الخ كل هذه الظروف ساهمت في تكوين فكره ، ورغم أنه ليس عالم اجتماع متخصص فإسهاماته جعلت منه فيلسوفا اجتماعيا ويعتبر من أهم المفكرين الذين قدموا رؤاهم لنهضة بلادهم على هدي القرآن الكريم .

وهو امتداد لمدرسة ابن خلدون كما أن جهوده وأعماله الفكرية انصبت في حل مشكلة الحضارة في العالم الإسلامي ، حيث يستمد فكره من الشريعة الإسلامية والدين يعتبر مرجعه الأساسي فهو رائد في ميدان الفكر الإسلامي ورائد في ميدان الصبر على الابتلاء في مواجهة التحدي والفتن .

وصف بالمدرسة وقد ترك خلفه إرثا ثقافيا ضخما يعتبر بصمة في الفكر الإسلامي المعاصر ، وكان همه الدائم طيلة حياته معالجة قضايا المسلم المعاصر ، بذل حياته في سبيل نشر الفكر الإسلامي ومواجهة الفكر الغربي .

الفصل الثاني

ملامح الفكر الاقتصادي لمالك بن نبي

تمهيد:

لقد قدم لنا مالك بن نبي في كتابه "المسلم في عالم الاقتصاد" والصادر سنة 1972 أي سنة واحدة قبل وفاته ، أحكم الأفكار الاقتصادية للأمة الإسلامية بشكل عام والجزائر بشكل خاص ، كما يعتبر هذا الكتاب جامعا للآراء والبراهين والأمثلة الاقتصادية .

حيث تضمن هذا الكتاب رؤية شاملة لقضايا التخلف الاقتصادي والانكماش الحضاري الذي عانت منه المجتمعات العربية والإسلامية إبان فترة الاستعمار كونه لايزال يؤثر في المجتمعات بدرجات متفاوتة ، إذ بعد الاستقلال السياسي للدول النامية سرعان ما وقعت تحت سندان الاستعمار الاقتصادي ، حيث لم تعتمد هذه الدول النامية على نظرية اقتصادية خاصة بها في الاقتصاد تتلاءم مع بيئتها وحاجاتها وامكانياتها ، فتراها تندفع وراء مشروع يخططه اقتصاد أجنبي قائم على نظرية اجتماعية مخالفة وعلى أسس تجارب قد تكون فاشلة.

استطاع المفكر مالك بن نبي أن يضع لنا تصورا مستقلا يتماشى مع خاصيتنا الاجتماعية ،ما يؤهلنا لتحقيق الاستقلالية الذاتية والنهوض التنموي والإقلاع الاقتصادي، وقد كان لفكره تأثيرا على المشروع التنموي الماليزي والتي استطاعت به أن تحقق طفرة اقتصادية ، حيث تعد التجربة الماليزية من أه التجارب الآسيوية فهي مثال لنموذج رائد قوامه الاقتصاد والإسلام حيث قدمت تجربة نموذجية للتعايش بين الثقافات والمجموعات العرقية التي تعيش فيها وتجمع بين الفكر الإسلامي والفكر الاقتصادي الحديث .

في هذا الفصل سوف نحاول إبراز أهم أفكاره في المجال الاقتصادي ، والتي جاءت في كتابه المسلم في عالم الاقتصاد كما سنقوم بدراسة تطبيقية للتجربة الماليزية مقسمة إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : معركة تحدي عالم الاقتصاد.

المبحث الثاني : شروط الانطلاق في عالم الاقتصاد .

المبحث الثالث : النهضة التنموية في فكر مالك بن نبي (التجربة الماليزية)

المبحث الأول: معركة تحدي عالم الاقتصاد

لقد واجهت الأمة العربية الإسلامية مشكلات كثيرة ومتنوعة والتي يعتبر المشكل الاقتصادي من أهمها ، حيث عانت المجتمعات بصفة عامة والمجتمع الجزائري بصفة خاصة من تخلف اقتصادي كبير زاده من تأخر عن ركب التقدم الحضاري العالمي .

وقد اشتغل المفكر مالك بن نبي بدراسة الحضارة كأصل عام لكل مشاكل العالم الإسلامي والتحديات التي تواجهه والتي يعتبر التحدي الاقتصادي من أبرزها ، والذي لا يمكن أن ينفصل عن المشكلة الحضارية العامة .

المطلب الأول: نظرة مالك بن نبي إلى الواقع الاقتصادي

لقد عانت الدول النامية من آثار الاستعمار لما نتج عنه من التخلف والأمية وعد الاستقرار السياسي أدى إلى ضعف الاقتصاد ، حيث يطرح مالك بن نبي في دراسته مجموعة الأفكار التي استقاها من هذه البلدان والواقع الذي تعانيه وتبعيتها للمذاهب الاقتصادية (الرأسمالية والاشتراكية).

أولا : المسلم وصدمة الاستعمار

بدأ مالك بن نبي كتابه بتقديم صورة محزنة عن الواقع الذي كان يعيش فيه في العقود المنصرمة " لم يكن المسلم عندما فتح عينيه في عالم الاقتصاد ، بعد أن نالته الصدمة الاستعمارية ، سوى قن يسخر لكل عمل يريده الاستعمار ، لم يكن (المنتج) الذي يرعى حقه ولا (المستهلك) الذي ترعى حاجته ، لقد كان أداة عمل مستمر فقط ، فلم يتكون لديه وعي اقتصادي مهما كان حظه في محيطه الاستعماري ، كان يجري عليه قانون التقليد كما يجري على كل كائن ، فقد صلته بعالمه الأخير ففقد أصالته ، فكان عندئذ أميل لتقليد (الحاجات) منه إلى تقليد (الوسائل) لأنه فقد وعيه الحضاري أيضا فيصير في مرحلة أولى مقلدا بقدر استطاعته للحاجة التي أفرزتها حياة غيره دون أن يفكر في صنع وسيلة اشباعها، ثم في مرحلة ثانية ، اذا تحقق استقلال بلاده ، يصير إلى تقليد الحاجات الواردة ، وتقليد الوسائل المستوردة كيفما اتفق له ولو على حساب سيادة البلاد .[1]

فكان المسلم في تلك اللحظة يبذل كل طاقاته وقدراته من أجل تلبية طلبات المستعمر فأصبح مجرد يد عاملة مسترقة من طرف المستعمر وتوفير حاجياته في مجال الاقتصاد ، وعلى ما يبدو أن المسلم لم يكن يعمل على بناء اقتصاد إسلامي يحقق اكتفاء ذاتيا يعود على الأمة بالتقدم والازدهار ، ولعل تلك الهمة الضعيفة هي

[1] مالك بن نبي ، المسلم في عالم الإقتصاد ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر بدمشق ، سوريا ، 2000 ، ص 07

التي تسببت في تجاهل دوره تماما فأصبح لا ينظر اليه باعتباره " المنتج " الذي يرعى حقه ولا "المستهلك" الذي ترعى حاجته ، وهنا ظهر ضعف مستوى ضعف وعيه الاقتصادي ، وافتقاره إلى القناعة بقدراته الذاتية ، التي كان بإمكانه أن يؤسس من خلالها اقتصادا قويا ينافس السوق العالمية .

ثانيا: القابلية للاستعمار

من أشهر المفاهيم التي أطلقها مالك بن نبي والذي يعني به غالبا التخلف الحضاري الذي أصاب المسلمين في العصور الأخيرة مما جعل عدوهم يتغلب عليهم ويستعمرهم ويفرض عليهم مدنيته.

فالفكرة التي أراد مالك بن نبي أن يوضحها هي أن مقابل الاستعمار الذي يتصف بالمكر والخداع هناك القابلية للاستعمار التي تتصف بالدناءة والخبث والخيانة ، ولكن ملك بن نبي نسي في تحليله هذا أشياء مهمة فالاستعمار يعامل الشعوب الإسلامية بقسوة حتى يحطم الشخصية الإنسانية ، ثم إن الشعوب الإسلامية قاومت الاستعمار مقاومة شديدة رغم ضعفها وفيها بطولات وتضحيات .[1]

ثالثا: ثقافة التبعية وغياب التخطيط

" فالإنسان الذي استسلم للتقليد في العادات والأذواق ، وبصورة عامة في تقليد ما يكتظ به عالم أشياء شيده غيره ، يصبح في المجال النظري مقلدا للأفكار التي صاغتها تجارب وخبرات غيره فإذا ما عدنا لموقف نخبتنا المثقفة في المجال الاقتصادي ، نرى هذه النخبة تقف مجرد موقف اختيار بين ليبرالية (أدم سميث) ومادية (ماركس) ، كأنما ليس للمشكلات الاقتصادية سوى الحلول التي يقدمها هذا أو ذاك " [2]

وبذلك يتضح أن النخبة وقفت مجرد اختيار وتفضيل بين الرأسمالية والاشتراكية " إنه يفكر على أساس الموجود من المناهج الاقتصادية هو ما يمكن إيجاده ."[3]

لكن كلاهما لم ينفع مجتمعانا حيث قال : " والخطأ من جانب الاختصاص الأجنبي الذي يخطط المشروع يعود إلى أنه يدلي بآراء تكون صحيحة في نطاق تجربته الشخصية كما حددها ظروف بلاده ، غير أنها تصبح نسبية أودون جدوى في بلد تمر تجاربه في ظروف أخرى.[4]

[1] محمد العبدة ، مرجع سابق ، ص ص 80-81 .

[2] مالك بن نبي ، المسلم في عالم الإقتصاد ، مرجع سابق ، ص 08

[3] مالك بن نبي ، نفس المرجع ، ص 42

[4] مالك بن نبي ، تأملات ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط5 ، سوريا، 1991 ، ص 54

" العالم الإسلامي لا يملك نظرة أو نظرية خاصة في الاقتصاد تتوائم مع ضروراته ومع إمكانياته في وقت معا ، فتراه يندفع في مشروع اقتصادي يخططه اقتصاد أجنبي على أسس أتقنتها تجربة في بلد مصنع ، أي بلد لا يخضع فيه النشاط لعوامل التخلف وهكذا يخفق المشروع في النهاية .[1]

يجب أن نعيد في النظرية في القضية على أساس أن وسائلنا ليست في رصيد ثروة صناعية مجهزة بكل الطاقات الميكانيكية ، وإنما رصيد ثروتنا الطبيعية المجهزة بالطاقات البشرية .[2]

" هكذا بدأت أقلام وأبواق مأجورة تحاول اقناعنا بأنه سلاح ذو حدين ليشعرونا بأن سلاحنا قد يقطع حبل وريدنا وهذه العملية في المجال النفسي تسير جنبا إلى جنب مع عملية أخرى في المجال الاقتصادي ذاته.[3]

فحسب مالك بن نبي حقيقة النظام الاقتصادي لم تكن متوفرة في جوهر وعي الشعوب المتحررة من الاستعمار التقليدي .

" وهكذا لم يقدم الاستعمار نظاما للتلمذة الاقتصادية إلى البلاد المستعمرة ، فلم يعدل في الواقع التكوينات الشخصية طبقا للتكوينات الاقتصادية الجديدة ، بل إنه فرض في هذه البلاد حكم العبودية الاقتصادية فحسب ."[4]

والحل في نظر مالك بن نبي هو " في تكوين وعي اقتصادي بكل ما يستتبعه في التكوين الشخصي للفرد وفي عاداته ، وفي نسق نشاطه وفي مواقفه أمام المشاكل الاجتماعية ". [5]

رابعا– تخلف الشعوب

مشكلة التخلف التي عانت منها بلدان العالم الإسلامي غداة استقلالها هي أكبر مشكلة كانت تعرقل سيرها إلى الأمام وتضعها في خانة الدول المتخلفة التي لا تتحكم في زمام أمورها الاقتصادية ويرى مالك بن نبي أن أسباب التخلف تعود إلى جملة من عوامل من بينها عوامل اقتصادية ، نحن نحتاج اليوم :" أن نتدارك التخلف الناشئ عن اقتصاد مازال في مرحلته الابتدائية ، فلكي يصل إلى المرحلة الثانوية أي مرحلة التصنيع ،

[1] مالك بن نبي ، تأملات ، مرجع سابق ، ص 53

[2] مالك بن نبي ، تأملات ، نفس المرجع ، ص 55

[3] مالك بن نبي ، بين الرشاد والتيه ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ط3 ، دمشق ، 1988 ، ص 161

[4] مالك بن نبي ، الفكرة الأفريقية الأسيوية ، دار الفكر ، ط3 ، دمشق ، 1992 ، ص164

[5] مالك بن نبي ، المسلم في عالم الاقتصاد ، مرجع سابق ، ص 22

فليس له ما يعتمد عليه سوى الزراعة من ناحية ، والمواد الأولية (الخام)من ناحية أخرى وهذان هما ثديا الاقتصاد الإسلامي على العموم ووسيلتا بعثه .[1]

" ففي بلد متخلف يفرض الشيء طغيانه بسبب ندرته ، تنشأ فيه عقد الكبت والميل نحو التكديس الذي يصبح في الإطار الاقتصادي إسرافا محضا ، أما في البلد المتقدم وطبقا لدرجة تقدمه ، فإن الشيء يسيطر بسبب وفرته وينتج نوعا من الإشباع .[2]

ومن الأسباب التي أدت إلى تخلف الأمة أيضا :[3]

1 –إن الوعي الاقتصادي لم ينم في شعور العالم الإسلامي النمو الذي نماه في الغرب ، قد أمسى دعامة أساسية للحياة الاجتماعية وقاعدة جوهرية لتنظيمها ومبدأ تصرف الفرد ؛

2 ـجمود الفكر الإسلامي منذ انهيار دولة الموحدين في المغرب العربي فلم يقدم جديدا في عالم الاقتصاد أو في غيره من المجالات ؛

3 . تمثيل اقتصاد الأمة لنوع وسطي بين الاقتصاد البدائي وبين الاقتصاد المنظم ، فلم يتمكن اقتصاد الأمة من التعلق بفكرة الربح التي تدور حولها الرأسمالية ولا فكرة الحاجة التي هي نواة الماركسية ؛

4 . انحلال دعائم الاقتصاد القديم للأمة أمام الاكتشافات الجغرافية الكبرى التي قامت بها أوروبا مما أدخل العالم في عصر اقتصادي جديد ؛

5.عدم تمكن المجتمع المسلم من مجاراة أوروبا بعد اكتشافها لتلك الطرق التجارية كما لم يستطع أن يكيف اقتصاده مع تلك الكشوفات ؛

6– دخول العالم في مرحلة اقتصادية جديدة يعتمد على مفاهيم لم يستطع العالم العربي تملكها مثل ساعة العمل وقوة الإنتاج بالإضافة إلى وسائل الإنتاج المتطورة التي ندت عن تصور العالم الإسلامي لها كالبحار والكهرباء والألة .

" فالمجتمع المتخلف ليس موسوما حتما بنقص في الوسائل المادية (الأشياء)، وانما بافتقاره للأفكار يتحلى بصفة خاصة في طريقة استخدامه للوسائل المتوفرة لديه ، بقدر متفاوت من الفاعلية وفي عجزه عن ايجاد غيرها .

[1] مالك بن نبي ، المسلم في عالم الاقتصاد ، مرجع سابق ، ص 25

[2] مالك بن نبي ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 1992 ، ص 10

[3] مالك بن نبي ، المسلم في عالم الاقتصاد ، مرجع سابق ، ص ص 35–36

ووفقا لتعبير الاقتصاديين الدارسين لمشاكل العالم الثالث فالأرض هي الوسيلة الأصلح لتأمين مجتمع ما يمر في مرحلته البدائية .[1]

فاستسلام العالم المتخلف لسيطرة الأشياء المستوردة التي حرم منها لعدم قدرته على صناعتها في الماضي ، وفي التهاون في استغلال طاقته الإنتاجية وتطويرها .[2]

ينظر مالك بن نبي إلى مشكلة التخلف كمشكلة تخلف حضاري عام ، لا مجرد تخلف اقتصادي متعلق بالوسائل ، ولذا نراه يأخذ عليهم اتجاههم إلى استراد أشياء الحضارة القوية وتكديسها ،ظنا منهم أنهم يبنون حضارة غافلين عن حقيقة تاريخية علمية وهي أن الحضارة يمكن أن تبيعهم أشيائها لكنها لا يمكن أن تبيعهم روحها ، وهي صورة ناتجة عن تصور قاصر وقع فيه المسلم عندما فتح عينيه فرأى أمامه حضارة قوية فدخل صيدلتها ، يأخذ من هنا قرصا ضد الجهل ومن هناك حبة ضد الفقر ومن هناك عقارا ضد الاستعمار.[3]

خامسا: عجز المسلم عن خلق واقع اقتصادي

حاول مالك بن نبي إعطاء بعد أخر للمشكلة الاقتصادية سواء في دراسة لطبيعتها أو البحث عن أصلها

.1- المشكلة الاقتصادية :

فالنظرية الماركسية التي ترد المشكلة الإنسانية إلى العوامل الاقتصادية تغفل بعض الأشياء الجوهرية في الظاهرة الاجتماعية أو تغض من شأنها ولكن هذه النظرية صادقة في الحدود التي يمكن أن تفسر عنها الظاهرة الاجتماعية تفسيرا اقتصاديا .[4]

فالمذهب التجاري أو الاحتكاري القائم على أساس المنفعة أي الذي يقوم توازنه على قانون العرض والطلب ، يتنافس مع المذهب القائم على فكرة الحاجة الذي يتوازن على أساس الإنتاج والاستهلاك .[5]

وإذا ما نظرنا إلى الشعوب المتخلفة الموجودة على محور طنجة – جاكرتا ، كما يرى مالك بن نبي نجدها جائعة عارية ، فرضت عليها أوضاع اقتصادية معينه.[6]

---

[1] مالك بن نبي ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، مرجع سابق ، ص 36

[2] مالك بن نبي ، شايف عكاشة ، مرجع سابق ، ص 91

[3] مالك بن نبي ، شروط النهضة ، دار الفكر ، دمشق ، 1986 ، ص 42

[4] مالك بن نبي ، المسلم في عالم الاقتصاد ، مرجع سابق ، ص 15

[5] مالك بن نبي ، فكرة الأفريقية الأسيوية ، ص 167

[6] ناصر دادي عدون ، الحركية الاقتصادية في الدول النامية بين عالمية مالك بن نبي والعولمة الغربية ، دار المحمدية ، الجزائر ، 2003 ، ص 16

ورغم التحرر السياسي فإن هذه الشعوب لم تتحرر من التبيعة في الأفكار التي قادتها إلى التبعية الاقتصادية لأن المشكلة أولا ذات طابع نفسي لأن المعنى الاقتصادي لم يظفر (ينم) في ضمير العالم الإسلامي بالنمو نفسه الذي ظفر به في الغرب ، في ضمير الرجل المتحضر وفي حياته .[1]

ومن جهة أخرى كان مالك بن نبي يرى أن تناول المشكلة الاقتصادية في البلدان المتخلفة سيكون بدون جدوى ، إذا لم يتم تناولها من أساسها ، أي ابتداء من عناصرها النفسية ، وأن هذه البلدان تقل الوسائل فيها بسبب درجة النمو الاجتماعي وهي فضلا عن ذلك معطلة عن الاستعمال بفعل النقائص النفسية وهذا يعني أنه ليست الوسيلة المادية فحسب هي التي تفتقدها بل إنها تفتقد أيضا للاستعداد النفسي والعقلي الذي ينمي اقتصادها .[2]

فلكي يحدد الرجل المسلم وجهته الاقتصادية يجب أن يتخلص من المعامل (المقلل) الذي يهبط بمقدرة وسائله التأثيرية ، ولن يستطيع الدخول في أي إطراد للنمو الاقتصادي إلا إذا حققنا انتقاله غير المشروط من المرحلة النباتية إلى الوضع الإيجابي الفعال .[3]

وهذا المفهوم يضع المشكلة الاقتصادية في المجال الإنساني والأخلاقي لأن أي نظام اقتصادي إنما توجهه القوة الأخلاقية التي تفرض عليه تفسيرا إنسانيا وغاية تاريخية ، بالإضافة إلى أن مالك بن نبي يشير إلى ملاحظة مهمة جدا ، وهي أنه يجب عمليا أن تسير النظرية الاقتصادية جنبا إلى جنب مع النظرية السياسية .[4]

يجب وضع المشكلة في مصطلحات (البقاء) فمشكلة الغذاء تنتج مشكلة التوظيف الكامل للموارد البلاد المادية والبشرية اللذان يندمجان ليكونا المشكلة الاقتصادية في المجال الإنساني والأخلاقي ، إن أي نظام اقتصادي ينطلق من فكرتي المنفعة والحاجة .[5]

ونحن اليوم نواجه تحديات الاقتصاد المعولم يجب القيام باستشارات واسعة لدى النخبة المثقفة في الميدان الاقتصادي ، ومن أجل النظر إلى المشاكل الاقتصادية في طبيعتها البشرية حتى لا يصل بنا الأمر إلى نتائج نظرية بعيدة عن واقع الطبيعة الاجتماعية .[6]

[1] مالك بن نبي ، المسلم في عالم الاقتصاد ، مرجع سابق ، ص 167

[2] ناصر دادي عدون ، مرجع سابق ، ص 21

[3] مالك بن نبي ، المسلم في عالم الإقتصاد ، نفس المرجع ، ص 23

[4] ناصر دادي عدون ، نفس المرجع ، ص ص 21-22

[5] مالك بن نبي ، المسلم في عالم الإقتصاد ، نفس المرجع ، ص 23

[6] ناصر دادي عدون ، نفس المرجع ، ص 24

2- الإقتصاد :

لقد تطرق مالك بن نبي إلى مفهوم الإقتصاد من جهات عدة من جهة الحضارة كما تطرق لمعنى الإقتصاد من جهة علاقته بالإنتاج وتطوره .

الإقتصاد ليس قضية إنشاء بنك وتشييد مصانع فحسب بل هو قبل ذلك تشييد الإنسان وإنشاء سلوكه الجديد أمام كل المشكلات .[1]

الإقتصاد هو تجسيم لحضارة [2] وليس الإقتصاد سوى اسقاط البعد السياسي على نشاط إنساني معين .[3]

أمااقتصاد الوفرة : هو الإقتصاد الذي يستند على إمكان يكتمل بفضل الوسائل الجديدة التي تهيأت لإكتشافها السبل منذ العصور السابقة عن الحضارة الأوروبية .[4]

ولقد قارن مالك بن نبي في كتابه المسلم في عالم الإقتصاد مفهوم الإقتصاد بين ثنائية الشرق والغرب في الحياة الإجتماعية والفرق الموجود في كلا المجتمعين حيث أن :

الإقتصاد في الغرب قد صار منذ قرون خلت ركيزة أساسية للحياة الإجتماعية وقانونا جوهريا لتنظيمها أما الإقتصاد في الشرق فقد ظل على العكس من ذلك في مرحلة الإقتصاد الطبيعي غير المنظم .[5]

إضافة إلا أن الشرق لم يضع تحت تأثير احتياجاته نظرية اقتصادية كما فعل الغرب حين وضع الرأسمالية أو الإشتراكية وحتى النظرية الاقتصادية لابن خلدون ظلت أفكارا ميتة حتى نهاية القرن العشرين .

إن الإقتصاد الرأسمالي الذي يعتمد على فكرة المنفعة والاقتصاد الماركسي الذي يعتمد على فكرة الحاجة بالإضافة إلى فكرة الزهد هذه الحقائق الثلاثة كما يرى مالك بن نبي .[6]

فالزهد والمنفعة والحاجة ثلاث حقائق لا يمكن أن تدخل في إطراد اجتماعي واحد وفي واقع اقتصادي واحد ، فقد كان هناك عنصر تنافر أساسي بين الأوضاع الشخصية الموروثة في البلاد الإسلامية وبين التكوينات الإقتصادية التي وضع أسسها العصر الإستعماري .[7]

---

[1] مالك بن نبي ، المسلم في عالم الإقتصاد ، مرجع سابق ، ص 59

[2] مالك بن نبي ، نفس المرجع ، ص 61

[3] مالك بن نبي ، بين الرشاد والتيه ، مرجع سابق ص 75

[4] مالك بن نبي ، المسلم في عالم الإقتصاد ، نفس المرجع ، ص 64

[5] مالك بن نبي ، نفس المرجع ، ص 16

[6] ناصر دادي عدون ، مرجع سابق ، ص 17

[7] مالك بن نبي ، المسلم في عالم الإقتصاد ، نفس المرجع ، ص 16

أضف إلى عامل الزمن الذي يعطي له أهمية بالغة في تنظيم العمل الحديث بعد تطبيق نظريات الإدارة العلمية ابتداء من تايلور (taylor)، ثم ما جاء بعدها من أفكار المدارس الإدارية الحديثة .[1]

فالدول المتخلفة فاقتصادها ظل اقتصادا تابعا ، ودعائم مفاهيم النشاط الإقتصادي لم يظفر بدقة ووضوح داخل هذه البلدان المتخلفة ، في حين أن الغرب أصبح على عتبة نظام اقتصادي جديد بل وصل إلى إيجاد دعائم مفاهيم جديدة كساعات العمل والقدرة على الإنتاج والدول المتخلفة لم تتخلص من السلبيات الموروثة من الإستعمار ، حين أصبحت هذه العوائق تمثل صعوبات مادية أمام كل تنمية ، بل تمثل عقدا نفسية في الكثير من الحالات .[2]

إن إنسان العالم الثالث والمسلم خاصة يظنان أنهما بارئان من أسقامهما بدواء جديد يشفيهما من كل داء ، وهذا الدواء الشافي من كل داء في العالم الإسلامي لم يكن له من أثر إلا أنه جعله فريسة بإيقاعه في الإقتصادانية .

3-الإقتصادانية :

إنما هي فقاعة غاز لا تحوي أي واقع اقتصادي بل هي أسوا ، إنها ظرف يبدي ألوان قوس قزح لألأة براقة ، إنه يحوي أوهاما خلابة ضائعة وتناقضات تدعو للسخرية .[3]

والإقتصادانية في جوهرها إستعداد لسلب القيم الأخلاقية وتجسيد الإستعمار الإقتصادي الحقيقي وغياب التنمية الإقتصادية حال دون الوصول إلى التنمية المطلوبة ، بل أدت هذه السياسات إلى هجرة الإطار الإقتصادي وهذا ما عملت عليه الدول الغربية بحيث امتصت جل الكفاءات هذه الأساليب أدت إلى تكوين فجوة بين الإطار الإقتصادي المكون في مدرسة كبرى وبين واقعه الإقتصادي ومن حيث عمله أضف إلى ذلك التخلف الناتج عن بعض الوسائل في المجال الإقتصادي .[4]

إن الإقتصادانية أو المعايشة لم ينزل بها قرآن من السماء بل أفرزتها كائنات أميبية جسدت القابلية للإستعمار وتجسيد التخلف اليوم ، وهي عموما يعني بادئ ذي بدء استبدادا ، أي تقييدا جديدا لحرية التصرف ،

[1] ناصر دادي عدون ، مرجع سابق ، ص 17

[2] ناصر دادي عدون ، نفس المرجع، ص 34

[3] مالك بن نبي ، المسلم في عالم الإقتصاد ، مرجع سابق ، ص 37

[4] ناصر دادي عدون ، نفس المرجع ، ص 34

فيه يلتهم المشرع الإقتصادي القيم الأخلاقية والمدنية كلها لأبناء الشعوب المستعمرة حتى يعززوا كما يزعمون ، الإستقلال السياسي الذي اكتسبه الشعب .[1]

وإذا تأملنا في تجربة الصين فإننا نجد هذا البلد عمل على التخلص من الجانب السلبي في التفكير بحيث عندما كان أمام الصين الخيار بين الصنع أم الشراء ، فضلت الصنع ، ولكنها لم تقتصر في هذا الجانب إلا عن طريق القيام بثورة ثقافية .[2]

فينبغي للبلدان الأخرى في العالم الثالث أن تقوم هي أيضا بثورتها الثقافية ، حتى تذلل المصاعب ولاسيما العقد التي تعوق سبيل تنميتها الإقتصادية .

إن المجتمع في منطلقه يتمتع دائما بسلطان اجتماعي يمثله الإنسان والأرض والزمان الذي يملكهم في الحالات جميعا ، لكنه لا يملك سلطانا ماليا .[3]

لأن التنمية الإقتصادية إذا تم إخضاعها منذ البداية إلى إرادة المال دون الإرادة الحضارية ، فمهما كان الواقع الإقتصادي ينبغي عند القيام بالتنمية أن تعطي أهمية للجانب الإجتماعي وحتى في المناهج الإقتصادية.[4]

ولا يخفى علينا أن التعليم الإسلامي كله في القرآن والسنة يدعوه إلى الحلول الوسطى دائما :

" وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونو شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا .. " (البقرة 143)

فتوعية الإنسان المسلم في الميدان الإقتصادي يجب ألا تجره وثنية جديدة ليصير من عباد صنم جديد اسمه (الإقتصادانية) أو حتى الإقتصاد .[5]

المطلب الثاني :الأسس الحضارية للنظرية الاقتصادية

لقد كان مالك بن نبي أبرز مفكر عربي عني بالفكر الحضاري منذ ابن خلدون ، وعم أنه قد تمثل فلسفات الحضارة الحديثة تمثلا عميقا واستلهم في أحايين كثيرة أعمال بعض الفلاسفة الغربيين ، إلا أن ابن خلدون بالذات يظل أستاذه الأول وملهمه الأكبر .[6]

[1] مالك بن نبي ، المسلم في عالم الإقتصاد ، مرجع سابق ، ص 37

[2] ناصر دادي عدون ، مرجع سابق ، ص 35

[3] مالك بن نبي ، المسلم في عالم الإقتصاد ، نفس المرجع ، ص 39

[4] ناصر دادي عدون ، نفس المرجع ، ص 35

[5] مالك بن نبي ، المسلم في عالم الإقتصاد ، نفس المرجع ، ص 41

[6] فهمي جدعان ، أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث ، الطبعة الثانية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 1989 ، ص 416

إن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارية ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته ، مالم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية ، ومالم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها .[1]

ولا شك أن الإطلاع المبكر لمالك بن نبي على مقدمة ابن خلدون ، من خلال ترجمة فرنسية ، كان له تأثير على فكره الحضاري عموما وخاصة ما ذهب إليه من أفكار في الجانب الاقتصادي .[2]

إن التغيرات التي تشاهد نتائجها بعد مدة طويلة في عالم الاقتصاد ، أحيانا في جوهرها تغيرات حضارية تعتري القيم والأذواق والأخلاق في محطات التاريخ ، فتتغير معالم الحياة بتحول الإنسان نفسية في إرادته واتجاهه عندما يدرك معنى جديدا لوجوده في الكون .

وهذا التحول لا يؤثر في عالم الأشياء ، ولا في المعقولات لبتي يتضمنها عالم الأفكار بوصفه أنماطا تطبيقية ، أي لا يؤثر في عالم الاقتصاد بنوعيه الشيء المصنوع والفكرة الدالة على طريقة صنعه مالم يؤثر في محتوى النفوس ذاتها ، طبقا للآية الكريمة : " إن الله لا يغيرما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .."(الرعد 11) ولو تدبر أهل الإختصاص في الاقتصاد من المسلمين هذه الآية ، أدركوا أنها تضع هذه القضية وغيرها مما يخص أوضاع المجتمعات أولا في مستوى تغير مسوغات الوجود في المجال النفسي وفي كلمة واحدة وبصورة أوضح في المستوى الحضاري .[3]

أولا –الحضارة عند مالك بن نبي

اجتهد مالك بن نبي في سلسلة من مؤلفاته لتقديم مفهوم شامل عن الحضارة ومشكلاتها لأن الحضارة يجب أن ينظر إليها من عدة زوايا وأن أي تعريف قد لا يفي بالتعريف الشامل لمعناها الحقيقي من حيث جوانب تركيبها وتكوينها ووظائفها وتطورها التاريخي والثقافي والإجتماعي .[4]

1–تعريف الحضارة :

الحضارة كما يعرفها مالك بن نبي : هي انتاج فكرة حية تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر الدفعة التي تجعله يدخل التاريخ فيبني هذا المجتمع نظامه الفكري طبقا للنموذج المثالي الذي اختاره وعلى هذا

[1] مالك بن نبي ، شروط النهضة ، مرجع سابق ، ص 19

[2] البشير قلاتي ، الأفكار الاقتصادية عند مالك بن نبي ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ، دون سنة نشر، ص 383

[3] مالك بن نبي ، المسلك في عالم الاقتصاد ، مرجع سابق ، ص 59

[4] آمنة تشيكو ، مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرلوند توينبي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1989 ، ص 111

النحو تتأصل جذوره في محيط ثقافي أصيل يتحكم بدوره في جميع خصائصه التي تميزه عن الثقافات الأخرى والحضارات الأخرى .[1]

في رأي مالك بن نبي فالحضارة في أبسط تعريفاتها ليست (كومة) من الأشياء المختلفة والمتنوعة وإنما هي (كل)منسجم من الأشياء والأفكار ، ومن العلاقات والمنافع والمسميات وهي بناء وهندسة وتجسيد لفكرة أو مثال أعلى .[2]

ويمكن تعريف الحضارة : بأنها جملة العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر لكل عضو فيه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوره .[3]

ويرى مالك بن نبي أن الحضارة هي مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده ، في كل طور من أطوار وجوده ، منذ الطفولة إلى الشيخوخة ، المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه .

فالمدرسة والمعمل والمستشفى ونظلم شبكة المواصلات والأمن في جميع صوره عبر سائر تراب القطر، واحترام شخصية الفرد تمثل جميعها أشكالا مختلفة للمساعدة التي يريد ويقدر المجتمع المتحضر على تقديمها للفرد الذي ينتمي إليه .[4]

ويرى مالك بن نبي الحضارة من جانبين :

الجانب الذي يتضمن شروطها المعنوية في صورة إرادة تحرك المجتمع نحو تحديد مهاماته الاجتماعية والإضطلاع بها والجانب الذي يتضمن شروطها المادية ، في صورة إمكان ، أي أنه يضع تحت تصرف المجتمع الوسائل الضرورية للقيام بمهماته أي بالوظيفة الحضارية .

فالحضارة هي هذه الإرادة وهذا الإمكان وبهذا نستطيع الآن التعبير عن الاقتصاد على أنه الصورة المحسة لهذه الإرادة ولهذا الإمكان ، في ميدان خاص هو ميدان الاقتصاد .

[1] آمنة تشيكو ، مرجع سابق ، ص 122

[2] فوزية بريون ، مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة ، دار الفكر ، دمشق ، 2010 ، ص 205

[3] مالك بن نبي ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، مرجع سابق ، ص 42

[4] مالك بن نبي ، القضايا الكبرى ، دار الفكر المعاصر ، ط1 ، بيروت لبنان ، 2000 ص 43

فالعلاقة النسبية بين الإمكان الحضاري والإرادة الحضارية علاقة سببية تضع الإرادة في رتبة السبب بالنسبة للإمكان .[1]

ولو عدنا إلى عالم الاقتصاد فإننا نجد عالم الكميات وعالم الأرقام يأتي في المرتبة الثانية وتأتي قبله الإرادة الحضارية تدخل الكميات والأرقام عندما تنطلق عملية الإنجاز ويتطلب إنجازها إشراف وتنظيم ورقابة بقدر ما يكتمل الإمكان ،ولا يكتمل النهوض الاقتصادي إلا إذا كان هناك عامل نفسي يجسد الإرادة الحضارية والإمكان الحضاري .

من خلال ما سبق يمكن أن نرى أن لإنجاح أي خطة اقتصادية يجب ربط الاقتصاد بالقيم الحضارية وإعطاء أهمية للعنصر البشري باعتباره رأس المال الاجتماعي ، إذا ما توفرت لديه الإرادة الحضارية ، وهذا كما يرى الاقتصاديون في نظرية رأس المال البشري ولكن بوجهة نظر ليست ذاتها كما هي لدى مالك بن نبي .[2]

ثانيا: شروط قيام الحضارة

والحضارة تتمثل كأنها مجموعة عددية تتابع في وحدات متشابهة ولكنها غير متماثلة وهكذا يتجلى لأفهامنا حقيقة جوهرية في التاريخ هي (دورة الحضارة) وكل دورة محددة بشروط نفسية زمنية خاصة بمجتمع معين فهي (حضارة بهذه الشروط) ، ثم إنها تهاجر وتنتقل بقيمها إلى بقعة أخرى ن وهكذا تستمر في هجرة لانهاية لها ، تستحيل خلالها شيئا آخر لتعد كل استحالة تركيبا خاصا للإنسان والتراب والوقت .[3]

إن نقطة تحول أي مجتمع من وضع متخلف إلى آخر متقدم يستدعي دخول ذلك المجتمع في دور حضارية تستكمل شروطها المادية والمعنوية المتمثلة في عنصرين أساسين هما الإرادة الحضارية والإمكان الحضاري وفي ذلك الصدد لابد من استخدام المنهجية العلمية التي يستخدمها الكيميائيون لتحديد العناصر المركبة للماء ، وذلك بأن نحلل منتوجات الحضارة لنستخلص منها العناصر الأساسية التي أوجدتها .

وقد توصل مالك بن نبي في تحليله النظري لتلك المنتوجات إلى أن كل حضارة إنما تتكون من عناصر ثلاثة صاغها في المعادلة التالية :**إنسان + وقت + تراب = حضارة**

[1] مالك بن نبي ، المسلم في عالم الاقتصاد ، مرجع سابق ، ص ص 61-62

[2] ناصر دادي عدون ، مرجع سابق ، ص ص 46-47

[3] مالك بن نبي ، وجهة العالم الإسلامي ، دار الفكر ، ط1 ، دمشق ، سوريا ، 2002 ، ص 27

1 – العنصر الأول : الإنسان

يحتل الإنسان مكانا مركزيا في نظرية الحضارة عند بن نبي حيث يمثل الجهاز الاجتماعي الأول .. فإذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ .[1]

حسب مالك بن نبي عبر بقوله : غير نفسك ، تغير تاريخك ..

وعلى هذه الكلمة يبدأ الإصلاح من النفس هادفا في جوهره إلى تغير الإنسان .[2]

طرح مالك بن نبي هذه الفكرة كمشكلة حضارية (مشكلة الإنسان) التي ينبغي حل معضلتها وإيجاد "الميكانيزمات" اللازمة لعلاجها ، حتى يصبح هذا الإنسان فعالا ، ومجاوزا بعد أن كرمه الله وخصه عن سائر مخلوقاته فهو المحور والبعد والمشروع الذي أوجد له الدين الإسلامي مكانا رفيعا من خلال العناية به . [3]

إن الإنسان ليس في نظر المسلم (الكم) الذي تجري عليه الإحصائية والوزن ، أي الشيء الذي تجري عليه تجارب المختبر وعمليات المصنع وحاجات الجيش ، فالإنسان ليس (الكم) بل (الصفة) التي قرنها الله بالتكريم في سلالة آدم فالمسلم يكرم هذه الصفة بصورة مطلقة وكما هو منتظر فإن هذا التكريم له آثاره المحسومة في الحياة في التشريع في الآداب وفي العادات .

فالإسلام يقرر لأقل عبد رقيق الحق في العتق إذا ما تبين أن ربه ظلمه في العمل أو في الغذاء .[4]

فالمشاكل التي تحيط بالإنسان تختلف باختلاف بيئته، فالإنسانية لا تعاني مشكلة واحدة ، بل مشاكل متنوعة ، تبعا لتنوع مراحل التاريخ ، فلا يمكن لنا أن نقارن في الوقت الحاضر بين رجل أوروبا المستعمر ورجل العالم الإسلامي القابل للاستعمار لأن كليهما في طور تاريخي خاص به .

فالأمر في الحالة الأولى يتعلق بحاجات غير مشبعة ، وديناميكية مضطربة على حين يتعلق في الأخرى بعادات راكدة وضعت الفرد في حالة توازن خامد وخمول تام ، في الوقت الذي خطت فيه الحضارة خطوات العماليق ..

---

[1] فوزية بريون ، مرجع سابق ، ص ص 208 209

[2] مالك بن نبي ، شروط النهضة ، مرجع سابق ، ص 32

[3] بشير ضيف الله ، مرجع سابق ، ص 102

[4] مالك بن نبي ، في مهب المعركة ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ط1 ، دمشق ، 1991 ، ص 181

وعليه فالأمر متصل بمشكلتين مختلفتين في أساسهما فهنالك هم في حاجة إلى مؤسسات بينما نحتاج إلى رجال ، فمن الرجل تتبع المشكلة الإسلامية بأكملها .[1]

ويتحدث مالك بن نبي عن الإنسان الاجتماعي الجزائري المنتج للحضارة بعض النظر عن نوعه وجنسه وهي إشارة إلى الواقع الاجتماعي الجزائري الذي لا يختلف عن واقع الإنسان المسلم المعاصر عامة فهو يعيش أزمة ركود وعزوف عن الحركة والتخلي عن السير في ركاب التاريخ .[2]

فالأساس الذي تقوم عليه الحضارة في فكر مالك بن نبي ينطلق من ضرورة وجود إنسان قابل للتحريك والمحاولة المستمرة للنجاح يضاف إليه وجود حدود أو وحدة ترابية أو إقليم يمكن تأسيس الفعل الحضاري ، إضافة إلى عامل الزمن بصفته عاملا مهما يحدد مدى نجاعة هذا الفعل ، واستمراريته .[3]

إذ يعبر مالك بن نبي بالدور الاجتماعي الجماعي للإنسان فيعتبر أن الحضارة ليس منتوج جماعي ، كما يعتبر الشخص في حد ذاته مولود الحضارة .

" فالشخص في ذاته ليس مجرد فرد يكون النوع وإنما هو الكائن المعقد الذي ينتج حضارة وهذا الكائن هو في ذاته نتاج الحضارة إذ هو يدين لها بكل ما يملك من أفكار وأشياء .[4]

فالتاريخ يبدأ بالإنسان المتكامل الذي يطابق بين جهده وحاجاته الأساسية وينتهي التاريخ بالإنسان المتحلل ، لم يعد يقدم لوجوده أساسا روحيا أو أساسا ماديا[5] ، والإنسان يؤثر في محيطه الاجتماعي عن طريق ثلاث وسائل بفكره بعمله بماله .[6]

2 . العنصر الثاني : التراب

التراب أحد العناصر الثلاثة التي تكون الحضارة ونحن حينما نتكلم عن التراب ، لانبحث في خصائصه وطبيعته ، ولكننا نتكلم عنه من حيث قيمته الاجتماعية ، وهذه القيمة الاجتماعية للتراب مستمدة من قيمة مالكيه .[7]

---

[1] مالك بن نبي ، شروط النهضة ، مرجع سابق ، ص 75

[2] ابرير الطاهر ، بنادي محمد ، الحضارة في فكر مالك بن نبي ، مجلة الفكر المتوسطي المجلد 09 ، العدد 02 ، بسكرة ، 2020 ص 115

[3] بشير ضيف الله ، مرجع سابق ، ص 16

[4] مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، 1986 ص 29

[5] مالك بن نبي ، وجهة العالم الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ص 32- 33

[6] فوزية بريون ، مرجع سابق ، ص ص 210-211

[7] مالك بن نبي ، شروط النهضة ، مصدر سابق ، ص 131

ومن ناحية ثانية يتسع مفهوم التراب ليشمل كل ما فوق وما في باطنها من ثروات وموارد طبيعية ، فهو يحمل دلالات المواد الخام الأساسية التي يمكن لأي دور حضارية أن تبدأ منها .[1]

فالإنسان هو الذي يرى في التراب مصدر ثروة ووسيلة للنهوض وهو الذي يرى فيه مصدر خطر يهدده ، وعلى مدى صحة نظرة الإنسان إلى التراب تتوقف استفادته منه .

لقد وجه مالك بن نبي ، النظر إلى العلاقة بين الإنسان والتراب ، خمولا أو نشاطا بإشارته إلى مقدار ما كان بالجزائر من أرض خضراء ، زحفت عليها الصحراء نتيجة خمول الإنسان ويتجه إلى التراب مرة أخرى ، لا ليحمي نفسه فقط ، بل لينتزع من الصحراء الثروة المتاحة للإنسان الذي يملك في بداية حضارية إلا إرادته ومحراثه .[2]

3 . العنصر الثالث :الوقت

هو العنصر الثالث في نظرية الحضارة وللوقت قيمة اجتماعية يمنحها له الإنسان ، غذ يصير في أمر ما (ثروة) وفي آخر عدم .[3]

فالزمن عند مالك بن نبي ليس هو إلا الزمن الذي يتم تكييفه اجتماعيا بإدماجه ضمن جميع العمليات الصناعية ، والاقتصادية أو الثقافية ، باعتباره ركيزة تقوم عليها سائر إطرادات هده العمليات .[4]

وبتحديد فكرة الزمن يتحدد معنى التأثير والإنتاج ، وهو معنى الحياة ، الذي ينقصنا .

هذا المعنى الذي لم نكسبه بعد ، هو مفهوم الزمن الراحل في تكوين الفكرة والنشاط ، في تكوين المعاني والأشياء .

ويعد مالك بن نبي الوقت عاملا مؤثرا في الفكر والنشاط الإنسانيين وفي تكوين المعاني وتطوير الأشياء، يقوم المجتمع المنخرط في أي دورة حضارية بتكييف الوقت وتحويله إلى زمن اجتماعي مثمر حين يدرجه في تخطيط المشروعات الصناعية والإقتصادية وتنفيذها ، بصفته ركيزة من ركائز إطراد تلك المشروعات وتحققها .[5]

[1] فوزية بريون ، مرجع سابق ، ص 231

[2] آمنة تشيكو ، مرجع سابق ، ص 131

[3] فوزية بريون ، مرجع سابق ، ص 232

[4] مالك بن نبي ، القضايا الكبرى ، مرجع سابق ، ص 56

[5] فوزية بريون ، مرجع سابق ، ص 232

حسب مالك بن نبي يبقى الإستغلال الأمثل للوقت ولذلك علينا أن نعلم المسلم علم الزمن فنعلم الطفل والمرأة والرجل تخصيص نصف ساعة يوميا لأداء واجب معين ، فإذا خصص كل فرد هذا الجزء من يومه في تنفيذ مهمة منتظمة وفعالة فسوف يكون لديه في نهاية العام حصيلة هائلة من ساعات العمل لمصلحة الحياة الإسلامية في جميع أشكالها العقلية والخلفية والفنية والاقتصادية والمنزلية ، وسيثبت هذا (النصف ساعة) عمليا فكرة الزمن في العقل الإسلامي ، أي في أسلوب الحياة في المجتمع ، وفي سلوك أفراده فإذا اشتغل الوقت هكذا فلم يضع سدى ولم يمر كسولا في حقلنا ، فسترتف كمية حصادنا العقلي واليدوي والروحي ، وهذه هي الحضارة.[1]

فالأنسان الألماني استطاع أن يسترجع كل ما خربته له الحرب العالمية الثانية في وقت قصير جدا ، فبعد أقل من عشر سنوات من انتهاء الحرب ، أصبحت ألمانيا تتمركز في مكانها الحضاري مسايرة في ذلك الدول المتحضرة ، والسبب في هذا لا يخرج عن موقف انسان الألماني من (الوقت) الذي تمثل في مجموعة من الإجراءات منها على سبيل المثال لا الحصر ، مضاعة ساعات العمل وتقديس الوقت ورفض الإهمال والتراخي في العمل ..

" والنهضة الإسلامية نفسها انطلقت من مبدأ تقديس الوقت ، الوقت من ذهب ، الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك .."[2]

إن جوهر فكر بن نبي الحضاري يتلخص في أنه لكي تؤدي الأمة الإسلامية رسالتها المنوطة بها، فلابد أن توجه كل طاقاتها الفكرية إلى فحص تراثها الثقافي وتقنيته ومادامت توفرت على أرضها عناصر الحضارة الثلاثة الإنسان والتراب والوقت فإن قوة التركيب لعناصر التاريخ خالدة في جوهر الدين ، وليست ميزة خاصة بوقت ظهوره في التاريخ ، ذلك أن أثره في النفوس يمكن أن يتجدد ويستمر مالم يخالف الناس شروطه وقوانينه.[3]

ثالثا: مراحل الحضارة عند مالك بن نبي

أثناء دراسة مالك بن نبي لمراحل الحضارة الثلاثة وإبراز الدورة التاريخية للحضارة فحسب مالك بن نبي ابن خلدون هو أول من استنبط فكرة (الدورة) في نظريته عن الأجيال الثلاثة .[4]

[1] مالك بن نبي ، شروط النهضة ، مرجع سابق ، ص 141

[2] شايف عكاشة ، مرجع سابق ، ص ص123-124

[3] فوزية بريون ، مرجع سابق ، ص ص 233-234

[4] مالك بن نبي ، وجهة العالم الإسلامي ، مرجع سابق ، ص 28

فالحضارة في تصور مالك بن نبي تنتقل من مكان إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر لتمارس دورتها الحضارية ومنه تنتقل من شعب إلى آخر لتبدأ دورتها تكون نهاية (دورة) وهجرة (حضارة) إلى بقعة أخرى تبدأ فيها دورة جديدة ، طبقا لتركيب عضوي تاريخي جديد .[1]

ويقسم مالك بن نبي هذه المراحل إلى :

1-مرحلة الروح :

في هذه المرحلة ليس في أساسها إلا الإنسان الطبيعي ، غير أن الفكرة الدينية سوف تتولى اخضاع غرائزه لعملية تكييف تمثل ما يعرف في علم النفس بالكبت ، وليس من شأن هذه العملية القضاء على الغرائز ولكنها تتولى تنظيما في علاقة وظيفية مع مقتضيات الفكرة الدينية ، في هذه الحالة يتحرر الفرد جزئيا من قانون الطبيعة المفطور في ذاته ويخضع وجوده كله للمقتضيات الروحية التي أوجدتها الفكرة الدينية في نفسه إيجاد يمارس معه حياته في هذه الحالة الجديدة طبقا لقانون الروح .[2]

2-مرحلة العقل :

ويطلق عليها مرحلة العقل وهي المرحلة الثانية من الدورة الحضارية حيث في هذه المرحلة يتقدم بكل سيادته ويتولى مهمة القيادة وبالتالي يسيطر على جميع الخصائص والملكات ، وفي هذه المرحلة يكون انتشار وظهور أكثر للفكرة الدينية وبالتالي يزداد المجتمع تطورا وتتقدم وتتطور الفنون ، وهذا مايؤدي إلى انتشار في الحضارة وامتدادها ويكون ناتج عن تراجع الفكرة الدينية وفاعليتها وعدم قدرتها على السيطرة على العقل ، فتحرر الغرائز وبالتالي يتفكك المجتمع وعلاقاته وظهور بشكل واسع لمظاهر الظلم والفساد والتخلف ، وهذا مايؤدي إلى هدم العمران وكل بناء حضاري .

فدورة من دورات الحضارة تولد في بعض الظروف النفسية ثم تنمو وتطرد ، فإذا سبقتها الحضارة الإنسانية توقفت تلك الدورة لتبدأ أخرى في ظروف مختلفة ، فهذا هو القانون الذي خط على مر السنين خلال التاريخ ذلك (الطريق الصاعد) ، الطريق الذي منحته البشرية في بطء وروية ، وبذلك تمتزج غاية التاريخ بغاية الإنسان .[3]

[1] مالك بن نبي ، وجهة العالم الإسلامي ، نفس المرجع ، ص 31

[2] مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، مرجع سابق ، ص 109

[3] مالك بن نبي ، وجهة العالم الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ص 177 -178

3-مرحلة الغريزة :

مرحلة الانحطاط تبدأ هذه المرحلة في نظر مالك بن نبي من زمن ما بعد الموحدين إلى يومنا هذا ، وهنا تنتهي مرحلة الوظيفة الاجتماعية للمبدأ الأخلاقي (الروح) وتصبح هذه الأخيرة عاجزة عن القيام بمهامها تماما ، وفي هذه الفترة يكون الإنسان والتراب والوقت من العوامل الحضارية الخامدة ، وتتميز مرحلة الغريزة سيطرة الشيء بحيث يتحول الهدف من النشاط الاجتماعي إلى ما يعرف بالكم أو العدد ، وهنا يكون العمل منصب على ماذا تحصلت المجتمعات من الأشياء أو الكميات الناتجة من الحضارة ، وبذلك تفقد الروح المبدأ الحضاري وتجري وراء الكم .

فالحضارة بهذا المعنى تبدأ حينما يدخل التاريخ مبدأ أخلاقي وتنتهي بفقدان هذا المبدأ لسيادته عن الحياة الطبيعية والمجتمع وهنا تسيطر الغريزة وتبدأ الحضارة في الأفول في انتظار عامل يشحن مبدأ الروح لتعود الدورة الحضارية من جديد ، ورأي بن نبي أن عامل الشحن في هذه الحالة هو الرجوع إلى الدين لأنه في نظره هو محرك عوامل تركيب الدورة الحضارية .[1]

المطلب الثالث :مرتكزات النظرية الإقتصادية في فكر مالك بن نبي

تطرق مالك بن نبي إلى النظرية الاقتصادية والتي تهدف أساسا لتحريك جميع الطاقات والموارد المادية تحريكا تؤدي إلى خلق ديناميكية اجتماعية .

أولا: توجيه المال

النظم المالية ليست إلا جانبا في الإقتصاد الحديث في حين الدراسات الإسلامية لا تتناول الإقتصاد إلا من هذا الجانب فتضاؤل هذا العامل لايوقف ديناميكية هذا الإقتصاد التي تستمر اعتمادا على عوامل أخرى ، ومثل ذلك تجربة ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية حيث نهضت دون رصيد ذهني أو مالي قائم ، فيجب أن تكون التنمية مبنية على السلطان الإجتماعي لكي لا تقع في وسواس نقص المال ، الذي يهلكها من البداية بإخضاعها إلى إرادة المال وتركيزه في يد قليلة وما يتبع ذلك من انخفاض في مستوى المعيشة ونقص القوة الشرائية وافقار للجماهير الكادحة .

[1] ابرير الطاهر ، بنادي محمد ، مرجع سابق ، ص ص 121-122

وهذا لا يعني أن ننزع من المال كل قيمته ونقتل أهميته في دفع الإنتاج ، فهو ضرورة ملحة وشرط لكل حياة اجتماعية ، وذلك تحت مبدأ : " نحن لا نعيش لنأكل ، بيد أننا نهلك إذا لم نأكل ".[1]

فإن قيمة المال تنحط أيضا في الإطار الإجتماعي في يد رجل الأعمال ، ومئة فرنك في يد رجل الأعمال الغربي لها فاعليتها الإقتصادية الكاملة فهي تندمج عموما في رأس المال المنتج ، أما بين يدي البرجوازية المسلمة فإنها تخضع لمعامل التقليل والتصغير ، فلم يعد لها من الناحية الإقتصادية قيمة مئة فرنك ، لتدخل عموما في رأس مال نفعي لا يحمل طابعا اجتماعيا ، ولا يهدف إلى فائدة عامة.[2]

وفي الحقيقة نشأ المال ليقوم بدورين :

1- الدور الأول : المدخرات

ناتج عن عملية الإنتاج فالعامل أصبح يبحث عن طريقة للاختزان أو التوفير لجزء من عمله ، لكي يلبي به حاجاته للأيام المقبلة أو الظروف الطارئة .

فالمال مهما كان نوعه ذهبا أو فضة ، قد يتعرض للضياع في ظروف معينة مثل الحروب ، فنشأت فكرة تجميع هذه الكميات من الذهب في مصاريف لتقوم بدور استثماري ، وكلما تراكمت وكثرت هذه الأموال تحولت عن طابعها الإجتماعي وكونت رأس المال ، ومنه تطورت علاقة المال والعمل فبعد أن كان مجرد خزان للعمل أصبح سجانا له ، السجان الذي لا يعرف سجينه يحق سوى العمل في مصلحته .[3]

2- الدور الثاني :الإستثمار

فمن الغريب للبلدان المتخلفة أن تبني مشاريعها الإقتصادية على المال أو اقتراض المال من الرأسماليين الذين يقدمونه بشروطهم .[4]

فأي مشروع نفكر فيه بأفكار الآخرين ونحاول انجازه بوسائل غيرهم معرض للفشل لامحالة ، فليس من المقبول أن نستثمر ما نرغب فيه ونريده حتى بالوسائل التي هي في يد الغير ، بل علينا أن نستثمر ما نستطيع بالوسائل الموجودة فعلا في أيدينا .[5]

---

[1] مالك بن نبي ، المسلم في عالم الإقتصاد ، مرجع سابق ، ص 40

[2] مالك بن نبي ، الفكرة الأفريقية الأسيوية ، مرجع سابق ن ص ص 247-248

[3] مالك بن نبي ، المسلم في عالم الإقتصاد ، مرجع سابق ، ص ص 68-69

[4] مالك بن نبي ، نفس المرجع ، ص 60

[5] مالك بن نبي ، بين الرشاد والتيه ، مرجع سابق ، ص 172

فالقضية إذن بالنسبة للعالم الإسلامي ليست قضية إمكان مالي ولكنها قضية تعبئة الطاقات الإجتماعية ، أي الإنسان والتراب والوقت ، في مشروع تحركها إرادة حضارية لا تحجم أمام الصعوبات ولا يأخذها الغرور في شبه تعال عن الوسائل البسيطة التي في حوزتنا منذ الآن ، ولا ينتظر العمل بها حقنة من العملة الصعبة ولا أي مشروع من نوع مارشال .[1]

ثانيا: توجيه العمل

إن توجيه العمل هو تأليف كل هذه الجهود لتغيير وضع الإنسان وخلق بيئته الجديدة ، ومن هذه البيئة يشتق العمل معناه الآخر : " كسب العيش لكل فرد "

والواقع أنه يجب أن يكون التوجيه المنهجي للعمل شرطا عاما أولا ، ثم وسيلة خاصة لكسب الحياة بعد ذلك ، وعلى قدر ما يصبح في البلاد من فنيين وفنون وحرف ، تتجه أحوال معيشة الفرد إلى وضعها الطبيعي حتما فيكتمل ويحتل مستوى أرفع دائما .

فإعطاء ثلاثة حروف من الأبجدية عمل ، وإزالة أذى عن الطريق عمل ، وإسداء نصح عن النظافة أو الجمال دون أن يغضب الناصح حين لا يصغى لنصحه –عمل ، وغرس شجرة هنا عمل ، واستغلال أوقات فراغنا في مساعدة الآخرين عمل ، وهكذا ...

فنحن نعمل ما دمنا نعطي أو نأخذ بصورة تؤثر في التاريخ .[2]

فالعمل الحرفي ، الزراعي ، أو الحربي يتم انطلاقا من عنصرين ظاهرين هما الإنسان والآلة لكن هذين العنصرين يحجبان حقيقة أخرى أكثر تعقيدا ، ذلك أن العمل لا يتم فعليا إلا في ظروف تتوافق بالضرورة مع سؤال (كيف) و(لماذا) فنحن لا نعمل كيفما اتفق حتى لا يصبح العمل مستحيلا ، ولا نعمل بغير سبب حتى لا نمارس عملا عبثا .

ففكرة العمل تتلخص في ثلاث فئات : فئة الأشياء ، وفئة الأشخاص وفئة الأفكار وجميع الخصائص الاجتماعية والإقتصادية والسياسية لعمل ما تطبع بالضرورة في مجموعته الخاصة ، هذه المجموعة تكون بسيطة التركيب في حالة الفرد المنعزل ، ولكن بمقدار ما يندمج الفرد في المجتمع الذي باشر في تقسيم العمل ، فإن العنصر الفكري يأخذ شيئا فشيئا أهميته .[3]

---

[1] مالك بن نبي ، المسلم في عالم الإقتصاد ، مصدر سابق ، ص 71

[2] مالك بن نبي ، شروط النهضة ، مصدر سابق ص ص 107-108

[3] مالك بن نبي ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ص 27-28

إن توجيه العمل في مرحلة التكوين الإجتماعي عامة يعني سير الجهود الجماعية في اتجاه واحد ، بما في ذلك جهد السائل والراعي وصاحب الحرفة ، والتاجر والطالب ، والعالم ، والمرأة ، والمثقف والفلاح لكي يضع كل منهم في كل يوم لبنة جديدة في البناء .[1]

ثالثا: توجيه رأس المال

رأس المال هو في جوهره المال المتحرك اي يتسع مجاله الإجتماعي بمقتضى حركته ونموه في محيط أكبر من محيط الفرد وأقصى من المقدار الذي تحدده حاجاته الخاصة .[2]

فمالك بن نبي ينظر إلى رأس المال باعتباره آلة اجتماعية تنهض بالتقدم المادي لا آلة سياسية في يد طبقة رأسمالية تضطهد من خلالها الشعوب وهو يفرق بين الثروة ورأس المال فالأولى متعلقة بالمركز الاجتماعي لمن يمتلكها وهي أموال مكدسة تفتقد إلى الحركة لأنها لا تخل في الدورة الإقتصادية كقوة استثمارية يمكن ان تولد العمل ، فهي من الناحية الاقتصادية والأدبية شيء بسيط ، لا يرقى لمستوى رأس المال الذي يتسع نطاق استخدامه ليتجاوز المجال الاجتماعي الضيق إلى مجال أوسع من محيط الفرد وأقصى من المقدار الذي تحدده حاجاته فينجم عن حركته النشاط ويوظف الأيدي والعقول .[3]

أما توجيه رأس المال رأس المال معناه إيجاد منهج سليم لحركة الأموال في المجتمع وتوظيفها في خدمة الصالح العام والخاص معا فيجب ألا تطغى إحدى المصلحتين على الأخرى حتى لا يتحول الأمر إلى رأسمالية متطرفة أو إلى اشتراكية متعفنة ، بل يجب أن يكون الطريق الوسط هو الذي يسلكه رأس المال ، وإن كان رأس المال لم يتكون بعد في البلاد الإسلامية كما يرى مالك بن نبي ، فهي لا تواجه مشكلة الرأسمالية لأن رأس المال نفسه لم يتكون بعد في غالب تلك البلاد .

ويمكن القول أن المنطق العملي يرتبط أيضا برأس المال والذي هو شيء غير منفصل عن صاحبه إنه المال الذي يخلق الحركة ويوظف اليدي والعقول ويحول " الثروة " إلى " رأس المال " فهو عمل نهضوي يجب أن تقوم به هيئة تهدف إلى تحويل كل قطعة نقدية إلى كيان متحرك يخلق معه العمل والنشاط وتحويل أموال الأمة من أموال كاسدة إلى رأس مال متحرك يخدم الصالح العام .[4]

---

[1] مالك بن نبي ، شروط النهضة ، مرجع سابق ، ص 107

[2] مالك بن نبي ، شروط النهضة ، نفس المرجع ، ص 111

[3] مالك بن نبي ، شروط النهضة ، نفس المرجع ، ص 110

[4] سليمان ملوكي ، النظرية الإقتصادية عند مالك بن نبي من خلال ثلاثية توجيه رأس المال ، العمل ، الوقت ، مجلة العلوم الإقتصادية والتسيير والعلوم التجارية العدد 10/06 ، 2013 ، ص ص 136-137

ولا يفوتنا أن ننبه بإلحاح إلى تكوين مجلس لتوجيه الثروة وتوظيفها لتتحول إلى رأس مال ولتخطيط أهدافه الاقتصادية ، وبهذا التوجيه الذي يسير متضافرا مع توجيه الثقافة وتوجيه العمل يكون الفرد قد استكمل الشروط اللازمة لتشييد حضارة تطابق إطاره الخاص .[1]

[1] مالك بن نبي ، شروط النهضة ، مرجع سابق ، ص 113

المبحث الثاني :شروط الانطلاق في عالم الاقتصاد

إن كل أمة أو دولة متطورة يعود سرها إلى قوة اقتصادها فتقدم الدول العظمى دليل على مدى نهضتها وإقلاعها الإقتصادي واكتفائها الذاتي وتبادلاتها التجارية ، ولأن مجتمعاتنا العربية الإسلامية لاتزال تتخبط في التخلف والرجوع إلى الوراء في كل المجالات وخاصة إقتصاديا ، لهذا حاول مالك بن نبي بأفكاره التي طرحها قادرة على التوجيه إلى الطريق السليم .

المطلب الأول : الإقلاع الإقتصادي حسب فكر مالك بن نبي .

حتى نقلع اقتصاديا حسب مالك بن نبي فالأزمة في الاقتصاد هي ليست أزمة مادية وانما أزمة إنسان ، أزمة فكره ، أزمة عدم فهم التطور الحضاري والإقتصادي .

أولا– الإستثمار الإجتماعي والإستثمار المالي :

مالك بن نبي يطرح في كتابه " المسلم في عالم الإقتصاد فرضية مهمة يلقي من خلالها الضوء على الفرق بين الإمكان المالي والإمكان الإجتماعي لأمة من الأمم متخذا بذلك مدينة نيويورك عينة الدراسة حيث يقول :

" لو دمرت مدينة كبرى مثل نيويورك على إثر زلزال شديد فإننا سوف نرى بكل تأكيد إعادة بنائها .

بينما لو تأملنا في السؤال المطروح حسب المقتضيات الإقتصادية التي يفرضها مشروع ضخم كإعادة بناء مدينة نيويورك لوجدنا أن الجواب يحتمل صورتين :

أولا : هل تستطيع الولايات المتحدة القيام بالمشروع الذي نعنيه بمجرد طاقاتها المالية ؟

ثانيا : أم تستطيع ذلك بفضل وسيلة أخرى ؟

يجب للتوضيح أن نصوغ الإحتمال الأول صياغة أخرى تفيدنا أكثر من الناحية العلمية .

فنقول هل تستطيع أمريكا شراء مدينة مثل نيويورك بكل محتوياتها الإسكانية والصناعية والتقنية لتعوض بها ما حطمه الزلزال ؟

إن واقع الولايات المتحدة بالنسبة للقضية المطروحة ، هو أن رصيدها لا يتعدى منذ سنة 1969 عشرة مليارات دولار من الذهب ، أي أن طاقتها المالية المقدرة بما لديها من ذهب لا تفي بمبالغ المشروع ولا تغطيها ، لأن تثمين مدينة نيويورك ، مع محتوياتها الإجتماعية سوف يكون فوق هذا الإمكان المالي مقدرا بالذهب ، ومن هنا يبدي لأذهاننا :

1-إن أمريكا لا تستطيع بإمكانها المالي أن (تشتري) مدينة نيويورك .

2-بينما تستطيع بإمكانها الإجتماعي بناء أو إعادة بناء مئات مدن مثل نيويورك .[1]

فقد بين مالك بن نبي حقيقة الإستثمار الإجتماعي وأولويته على الإستثمار المالي ، هذا بحكم أن المجتمعات الإسلامية تنطلق مشاريعها من منطق المال ، وإذا لم يتوفر يتوقف كل شيء وبناء على ذلك فقد طرح أمثلة من الواقع تؤسس لذلك وسنقتصر على تجربة الصين وفي هذا يقول :

إن الصين تقدمت إقتصاديا بسرعة مرموقة ، لأنها طبقت منذ اللحظة الأولى في خطط تنميتها ، مبدأ الاتكال على الذات ، أي بالتعبير الإقتصادي مبدأ الإستثمار الإجتماعي من الإنسان الصيني والتراب الصيني ن والزمن المتوفر في كل أرض .

فالصين وضعت كل تبعيات التنمية على كاهل الشعب ، فعوضت بطاقاته الحيوية الموجودة بقدر الإمكان ، الطاقات الميكانيكية المفقودة حتى في المشروعات الكبيرة الحجم ، أي أنها عوضت بقدر الإمكان ، الإمكان المالي بالإمكان الاجتماعي تعويضا جعلها رائدة العالم الثالث بلا جدال ، وجعلها عامة تحصل على خبرة فريدة في العالم في مجال توظيف الإنسان والتراب والزمان .[2]

كما يمكن أن نستفيد من هذه التجربة درسا تربويا ، لأن الإنسان الذي يمارس الهمل المشترك يدرك من خلاله ما يتحقق على يده في المزرعة والمجتمع ، إنه يستطيع تحويل الجبال كما يضيف مالك بن نبي والعالم لا يمكنه تغير أوضاعه الاقتصادية إلا بقدر ما يطبق خطط إقتصادية تتفق مع أبعاده النفسية.[3]

ويؤكد مالك بن نبي في قوله : لابد أن نلاحظ من ناحية أخرى أن العوامل الاقتصادية كلها مهما كانت درجة تعقدها هي في مرحلة أولى ، نتيجة الإنسانية ، أي أن نحدد المصدر الأول في الثروة الطبيعية التي تحت تصرفنا .

[1] مالك بن نبي ، المسلم في عالم الإقتصاد ، مرجع سابق ، ص ص 73-74

[2] مالك بن نبي ، المسلم في عالم الإقتصاد ، نفس المرجع ، ص ص 76-77

[3] ناصر دادي عدون ، مرجع سابق ، ص ص 61-62

يمكن أن نضع على هذا المنوال الجدول التالي :[1]

الجدول رقم 02 يمثل: القيم الإقتصادية

الإنسان	الاقتصاد
اليد والوقت	اليد والوقت
عقول	إطارات فنية
تركيز العمل	تركيز رؤوس الأموال

فبالنظر إلى هذا الجدول البسيط تبين من اللحظة الأولى ، أن القيم الاقتصادية المذكورة في العمود الثاني صادرة كلها عن الأسباب المذكورة في العمود الأول ، حتى بالنسبة إلى تركيز رؤوس الأموال ، إذا لاحظنا أن المال ما هو إلا العمل المخزن في صورة متنقلة .

ويمكن أن تحقق النهضة الاقتصادية لهذا الجانب التربوي الذي يجعل من الإنسان القيمة الاقتصادية الأولى بوصفه الوسيلة التي يمكن من خلالها تحقيق الحركية الاقتصادية وخطط التنمية ، بالإضافة أنه يجب على الدول المتخلفة في المجال الاقتصادي أن تكون أفكارها متطابقة مع واقعها ولا يكفي أن نتكلم عن الإستثمار الاجتماعي وفي البرامج الإستثمارية تعتمد على الإستثمار المالي .[2]

ثانيا-الحركة الإقتصادية ومبادئها :

حسب مالك بن نبي الديناميكية الاقتصادية (الحركة الاقتصادية)هي التفاعل بين عمليتي الإنتاج والاستهلاك والذي تحدده عملية التوزيع فعندما نحدد طبيعة الحاجة التي يليها الإنتاج نحدد طبيعة التوزيع وحجم شبكته.

1-الإنتاج والإستهلاك:

انتقل المفكر مالك بن نبي كعادته إلى أبعد الحدود ليفسر لنا ظاهرة الإنتاج من جهة وظاهرة الإستهلاك من جهة أخرى ، رابطا بينهما بواسطة حركة التفاعل التي يعرفها كلا من المنتجين والمستهلكين ، حيث يقول " عميلة التوزيع هي التي تطبع الحياة الاقتصادية وتميز أسلوبها الخاص لأنها تحدد هدف الإنتاج من ناحية ورقعة الإستهلاك من ناحية أخرى ، لتنشأ بواسطتها التفاعل بين المنتجين والمستهلكين ، هذا التفاعل هو ما يسمى الديناميكية الاقتصادية .

[1] مالك بن نبي ، تأملات ، مرجع سابق ، ص ص 55-56

[2] ناصر دادي عدون ، مرجع سابق ، ص 62

ويشير مالك بن نبي أنه عندما نحدد طبيعة الحاجة التي يلبيها الإنتاج نحدد طبيعة التوزيع وحجم شبكته والحاجة من الناحية الاقتصادية نوعان الحاجة التي يغطيها المال والحاجة التي تغطيها إرادة حضارية مثل الإرادة التي فرضت على الزكاة ، ويتقرر على أساس تلبية الحاجات كل أسلوب الاقتصاد إما طبقا لطبيعة المال أو طبقا لإرادة حضارية .

على هذا الأساس يحدد لنا مالك بن نبي شروط الحركة الاقتصادية والتي تقوم على أساس مبدأين اثنين هما:

*** لقمة العيش لكل فم.**

*** العمل واجب على كل ساعد .**[1]

أي من أجل تحقيق شروط الإقلاع يجب أن يقوم التخطيط على مسلمة مدرجة كمبدأ عام لكل تشريع اجتماعي اقتصادي ألا وهي : " كل الأفواه تستحق قوتها ، وكل السواعد يجب عليها العمل ." [2]

أي شرط الحركة الاقتصادية حسب مالك بن نبي مقرونة بهذه الثنائية لاستمرار التفاعل بين الإنتاج والإستهلاك حيث يقول :" إنه لا إنتاج دون إستهلاك ولا استهلاك من دون إنتاج ."[3]

وحسب مالك بن نبي لكي نصل إلى هذا المستوى من فقه منطق الإنتاج تطورا إقتصاديا وجب أن تكون الإرادة تكشف الإمكان ،هذا القانون في المجال الاقتصادي هو في المجال النفسي ما يشير إليه في الآية الكريمة : " إن الله لا يغيرما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .." (الرعد 13/11) وما نعبر عنه في المجال الاجتماعي بقولنا إن الإرادة الحضارية تصنع الإمكان الحضاري .[4]

فكل وطن متخلف يستطيع دفع عجلته على هذا الأساس الدستوري الذي يتكفل سائر الحقوق ، ويفرض جميع الواجبات ، ويحقق بذلك الحركة الاجتماعية التي تتغلب على كل نوع من الركود ، فمن أجل تحقيق الإقلاع هذا هو الطريق .[5]

2-عمليتي الإنتاج والتوزيع:

يقول مالك بن نبي : إن المجتمعات تموت غالبا منتحرة ن والإنسان مجبول أيضا على اتباع المنحدر إذا لم تكن وراءه قوة دافعة إلى أعلى .[6]

---

[1] مالك بن نبي ، المسلم في عالم الاقتصاد ، مرجع سابق ، صص 79-80

[2] مالك بن نبي ، بين الرشاد والتيه ، مصدر سابق ص 175

[3] مالك بن نبي ، المسلم في عالم الاقتصاد ، نفس المرجع ، ص 80

[4] مالك بن نبي ، نفس المرجع ، ص 83

[5] مالك بن نبي ، بين الرشاد والتيه ، نفس المرجع ص 175

[6] مالك بن نبي ، المسلم في عالم الاقتصاد ، نفس المرجع ، ص ص 85-86

بمعنى ما يميز المنحدر خطوة واحدة باتجاه الأسفل وينتهي بنا الأمر إلى الهاوية ، أما الصعود للقمة يتطلب خطوات متتالية بعزم وثبات حتى النهاية .

إن كل سياسة تقوم على طلب (الحقوق) ليست إلا ضربا من الهرج والفوضى أو هي كما عبرنا من قبل (يد) تطيل عمر الحياة الأميبية في الحقل الفكري وتلك هي (البوليتكا) بالمعنى الشعبي للكلمة .[1]

فالسياسة التي تنهض أساسا بالمطالبة بالحقوق وتهمل جانب الواجبات لا تعدو أن تكون قد اتجهت هذا الاتجاه على أساس اختيار ضمني أو صريح بين مفهومين أخلاقيين الواجب والحق .[2]

فلو اصطلحنا على المدلول العام للمفهومين أن (الواجب) هو ما نعطيه مثلا للمجتمع وأن (الحق) هو ما نأخذه ، ويختصر لنا العلاقة بين هذين المفهومين الأخلاقيين في المعادلة الجبرية التالية :

واجب + حق = 0

إذا كان الإنتاج هو ما نعطيه للمجتمع وأن الإستهلاك هو ما نأخذه فإن العلاقة الاجتماعية في لغة الرياضيات تصبح : **إنتاج + إستهلاك = 0**

فها هو رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعطينا في قضية المتسول الذي أتى يسأل يوما (لقمة عيش) كان من حقه أن يأخذها من المجتمع بنص من القرآن في الزكاة ، ولكن أعمال النبي (صلى الله عليه وسلم) تشريع أو غبرة لأمته ، فأشار الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الصحابة بأن يجهزوا هذا الفقير ليحتطب وأشار على الرجل بأن يحتطب ليأكل من عمل يده .

فاليد التي تعطي خير من اليد التي تقبل هذا هو التوجيه إن شئنا فسرناه خلقيا أو اقتصاديا سواء.

والآن إذا عدنا إلى العلاقة الجبرية بين الإنتاج والاستهلاك نستطيع النظر في احتمالاتها فتراها تدل على ثلاث حالات يحقق المجتمع إحداها حسب اتجاهه الثقافي .

فحسب تركيزه على مفهوم (الواجب) أو على مفهوم (الحق) تكون معادلته الاقتصادية إيجابية بفائض الإنتاج على الإستهلاك ، أو متعادلة إذا استوى الطرفان أو سلبة إذا كان الإستهلاك أرجح في الميزانية .

[1] مالك بن نبي ، وجهة العالم الإسلامي ، مرجع سابق ، ص 143

[2] مالك بن نبي ، المسلم في عالم الاقتصاد ، نفس المرجع ، ص 86

فالحالة الأولى يستطيع المجتمع استثمار فائض إنتاجه في العمليات والميزانيات المقبلة فهو مجتمع نام ، أما الحالة الثانية فتعادل كفتي الميزان فهو لا يصعد ولا يهبط فهو مجتمع راكد ، والحالة الثالثة فكفة استهلاكه أرجح فهو مجتمع ينهار .[1]

ومع ذلك فينبغي ألا يغيب عن نظرنا أن (الواجب) يجب أن يتوقف على (الحق) في كل تطور صاعد ، إذ يتحتم أن يكون لدينا دائما محصول وافر أو بلغة الاقتصاد السياسي (فائض قيمة) هذا (الواجب الفائض) هو أمارة التقدم الخلقي والمادي في كل مجتمع يشق طريقه إلى المجد .[2]

ثالثا: معادلات الواقع الإنساني

يفسر مالك بن نبي الواقع الإنساني للمسلم في عالم الإقتصاد وفقا لمعادلتين :

1- معادلة بيولوجية : تسوي بين الإنسان وأخيه الإنسان في كل مكان ليستطيع هذا كل ما يستطيع الآخر إلا فيما فضل فيه بعض الأفراد عن الآخرين (بمعنى هي هبة من الله إلى البشر كافة).

2- معادلة اجتماعية : تختلف من مجتمع إلى آخر وفي مجتمع واحد تختلف من عصر إلى آخر حسب الإختلاف في درجة النمو أو التخلف بمعنى هي القاسم المشترك يطبع سلوك أفراد مجتمع واحد ويحدد فعاليتهم أما المشاكل بصورة تميزهم عن أفراد مجتمع آخر أو عن جيل آخر من مجتمعهم ، إذا كان الفاصل الزمني كافيا لطبع المجتمع بأسلوب آخر يتفق مع معادلة اجتماعية أخرى .[3]

وفي هذا الإطار الأيديولوجي يرى بن نبي أن المراجعة النقدية الموضوعية لوظيفة المال في الحق الإقتصادي تشكيلة الرأسمالي (الليبرالي) أو الإشتراكي (الشيوعي) تنتج على مستوى الإجتهاد الفكري والفقهي إمكانية اكتشاف وبصفة تدريجية معالم طريق ثالث للتنمية ، أي آفاق جديدة في كيفية استثمار نفسي اجتماعي (معادلة اجتماعية) أمثل وهذه دعوة صريحة من المفكر الجزائري مالك بن نبي إلى ضرورة العودة إلى تفعيل الذات الحضارية بطريقة عصرية (أصيلة وخلاقة) أي دعوة المفكرين والمثقفين ورجال السياسة والمسلمين إلى ضرورة التحرر أكثر فأكثر من التبعية الثقافية والحضارية الغربية أو الشرقية على المستوى الفكري والأيديولوجي خاصة فيما يتعلق بعمليات انتقاء مواضيع تفكيرهم وطرق استشاراتهم الأجنبية .

هذا ما حققته اليابان (الرأسمالية) والصين الشيوعية بعد الحرب العالمية الثانية (1949) خصوصا بعد أن عدلت الصين ثروتها الثقافية بين 1966 و1968 المعادلة الاجتماعية ما بين الأجيال في المكان والزمان ،

[1] مالك بن نبي، نفس المرجع ، ص ص 87-88

[2] مالك بن نبي ، وجهة العالم الإسلامي ، مصدر سابق ، ص 143

[3] مالك بن نبي ، المسلم في عالم الإقتصاد ، نفس المرجع ، ص ص 91-92

على مستوى الكم والكيف فهي ستظل في إطارها العام والخاص مسألة حضارة بالدرجة الأولى ، يكتسبها الأفراد والجماعات بدرجات متفاوتة من المجال الحيوي في بعديه المعنوي والمادي .

نجد في الغرب أن المعادلة الإجتماعية قد تمثلت أساسا في قدرة أفراده وجماعاته على إنتاج وإعادة إنتاج الفعالية على مستوى الحقوق والواجبات ، من منطلق فكرة دينية أو فلسفة اجتماعية مشروطة في المكان والزمان كما هو الحال في أوروبا ابتداء من القرن السادس عشر (عصر النهضة) ، وفي بعض المجتمعات الأسيوية فقد اتخذت المعادلة الإجتماعية إطارا خاصا إذ جعلت من الضمير الفردي يعيش باستمرار حالة طوارئ قصوى وهذا تحت اشراف سياسة صارمة كما هو الحال في المجتمع الصيني منذ 1949م .[1]

فالمجتمع الإسلامي في حيرة بين أمرين :

– إما أن يترك الأيام تصوغ معادلته الإجتماعية أو تعيد صياغتها لتمكينه من مواجهة التحدي الذي يوجهه له عالم اقتصادي غريب عنه .

– وإما أن تطرح المشكلة صورة منهجية مثلما فعلت اليابان والصين أو مثلما فعل تايلور ومدرسته في الغرب الذي اكتملت معادلته الإجتماعية في الصورة النظرية (التايلورية) .

فالعالم الإسلامي يواجه اليوم (حالة انقاذ) أو كما يقال يواجه حالة طوارئ تفرض عليه أن يتخذ قرارات صارمة في المجال الإقتصادي ، كما تتخذ قيادة عسكرية قراراتها لمواجهة ظروف استثنائية .[2]

المطلب الثاني : ضرورة التكامل الإقتصادي في الدول العربية

إن مسألة الإكتفاء الذاتي لن تحقق كمشروع حضاري على مستوى الحقل الإقتصادي إلا بتحريك المعادلة ٱلإجتماعية ، وانطلاقا من معرفة علمية لحدود الإمكانيات الفعلية المتوفرة كما ونوعا ، داخل التراب الوطني ما يتفاعل من أجل تخطيط سياسي اقتصادي فعال على مستوى الداخل والخارج .

هكذا تصبح المسألة التنموية في كل بلد اسلامي تكمن أساسا في ذلك البحث الدؤوب عن تركيبة حضارية عصرية ، يتفاعل من خلالها الإنسان والتراب والوقت بكيفيات مثلى لتحقيق اكتفاء ذاتي (الفعالية الإقتصادية) وهذا عن طريق التطور من اقتصاد وطني إلى اقتصاد جهوي يعتمد على تخطيط زراعي صناعي

[1] مرزوقي بدر الدين ، الأسس الحضارية للظاهرة الإقتصادية في فكر مالك بن نبي ، مجلة الراصد العلمي ، 2018 ، ص ص 09–10

[2] مالك بن نبي ، المسلم في عالم الإقتصاد، مرجع سابق ، ص 96

متكامل في نطاق دفع الطاقات الإجتماعية نحو الإستغلال الأمثل لعالم الأفكار وعالم الأشخاص ، وعالم العلاقات الإجتماعية كما ونوعا .[1]

فالتخطيط في بلد في طور النمو يهدف أساسا إلى تحريك كامل طاقاته وموارده البشرية والمادية تحريكا يؤدي إلى خلق ديناميكية اجتماعية ، فبرنامج التنمية لبلد ما كالجزائر تكون سائر فرص النجاح لديه مسجلة مسبقا في منهجيته التخطيطية وفي نوعية خطته التقنية والأخلاقية .[2]

والقضية ليست في تكديس الثروة ولكن في تحريك المال وتنشيطه بتوجيه أموال الأمة البسيطة وذلك بتحويل معناها الإجتماعي من أموال كاسدة إلى رأسمال متحرك ينشط الفكر والعمل والحياة في البلاد.[3]

إن المفهومية يجب أن تكون أولا وبالذات النشيد الذي يقود عمل الشعب وبأسره فهي الصوت الحادي الذي يضبط ايقاع مجهود الأمة وهي تنادي الجماعة " هيا ارفع " لكي تتضافر على انهاض مصيرها إلى أعلى[4]

إذا كنا نحتاج في جميع هذه الأطوار إلى سياسة واضحة وإلى مفهومية ركينة وطيدة فإنه يتعين علينا كذلك أن نمتلك أفكار فعالة باعثة .[5]

إن تجربة التصنيع لا تقترن بالإفادة النظرية المرجوة منها ، إلا حيث أتيح لها أن تطرد ضمن شروط عادية ودونما إرغاممن الخارج ، وفي أوروبا الغربية بالذات تتبدى هذه التجربة أمامنا في شكلها النقي في أي في صورتها المتخلصة من كل الأعراض المفاهمية وفي ارتباطها فقط بالوقائع الإقتصادية المحضة .[6]

يجب أن يكون المنظور الزراعي المعيار الذي نقيس به فرص خطتنا بالنجاح ، ودون أن ننسى أن الإنطلاقة الإقتصادية لبلد كبلدنا يجب أن تعمل على إطعام كل الأفواه وتشغيل كل السواعد .[7]

فالإقتصاد المندمج في محيطه الإقليمي والثقافي يأخذ بعين الإعتبار المكامن المشتركة والعوامل التي يمكن البناء عليها لأن أهم سمات الإقتصاديات الحديثة هو اندماجها في تكتلات ومجموعات غرب افريقيا ... وغيرها التي تشكل قوة اقتصادية والإقتصاد الجزائري يحتاج الآن وغدا إلى الإنظمام إلى مثل هذه التكتلات حتى يكون اقتصادا منفتحا ومتعدد الشراكات ، وعلى رأس هذه التجمعات تكتل اتحاد المغرب العربي الذي يمكن أن

[1] مرزوق بدر الدين ،مرجع سابق ، ص 11

[2] مالك بن نبي ، من أجل التغيير ، ط4 ، دار الفكر بدمشق سوريا 2005 ، ص 31

[3] مالك بن نبي ، شروط النهضة ، مرجع سابق ، ص 113

[4] مالك بن نبي ، القضايا الكبرى ، مرجع سابق ص 106

[5] مالك بن نبي ، القضايا الكبرى ، نفس المرجع، ص 124

[6] مالك بن نبي ، القضايا الكبرى ، نفس المرجع ص 40

[7] مالك بن نبي ، من أجل التغيير ، مرجع سابق ، ص 32

يشكل قوة اقتصادية لها وزنها في حوض المتوسط وفي العالم فهو يقول : " من قابس إلى أغادير يجب أن يسد التحريج الطريق أمام الرمل الذي يرتفع نحن نعلم أن هذه المهمة ليست سهلة وأنها قد تستدعي وصل بعض المنخفضات في الجنوب الجزائري بالبحر المتوسط من خلال غوطات الجريد .

ولكن عهد التخطيط الذي رأى صحراء (كاراكوروم) في جنوب الإتحاد السوفياتي تتحول إلى حديقة غناء ، لا يستطيع أن يرى هذه المهمة أمرا مستحيلا .[1]

عندما تتعلق المسألة بتحقيق شروط الاقتصاد التكاملي داخل البلد الواحد فإن المفكر مالك بن نبي يرى حتمية التكفل الغربي والإسلامي أي توسيع دائرة التفاعل البناء آخذا بعين الإعتبار ايجابية التنوع الجغرافي والثقافي الخاص بكل بلد اسلامي من أجل تحقيق شروط الإكتفاء الذاتي ، أي الحلقة الإقتصادية التي تستطيع الإنغلاق على تقييمها إذا ما اقتضت الضروريات الداخلية والخارجية ذلك .[2]

إن الأوطان لا تستطيع مواجهة الظروف الإقتصادية العالمية بمفردها ، تستطيع الصمود لها والنمو إذا تكاتفت عقولها وأيديها وأموالها في ورشة عمل مشترك من أجل اقتصاد متحرر لا يخضع لضغط خارجي .[3]

[1] مالك بن نبي ، من أجل التغيير ، مرجع سابق ، ص 34

[2] مرزوقي بدر الدين ،مرجع سابق ، ص 12

[3] مالك بن نبي ، المسلم في عالم الإقتصاد ، مرجع سابق ، ص 102

المبحث الثالث : النهضة التنموية في فكر مالك بن نبي (التجربة الماليزية)

النهضة التنموية هي نتاج مراحل عديدة وتظافر الجهود بغية تحقيق الرقي والتقدم في شتى مجالات الحياة الإنسانية ، فالتجربة الماليزية هي مثال لنموذج رائد وهي إحدى قصص النجاح في القارة الآسيوية ، ومما سبق سنتطرق في هذا المبحث لدراسة تجربة دولة ماليزيا من حيث النجاحات التي حققتها والتي جعلت منها تجربة تنموية رائدة .

المطلب الأول : نبذة عن دولة ماليزيا

سوف نتطرق إلى إعطاء لمحة عن بلد ماليزيا من الناحية الجغرافية وعرض بسيط عن تاريخ اقتصادها الذي واجه صعوبات كثيرة خاصة بعد الإستقلال .

أولا : نظرة جيوسياسية عن ماليزيا:

تقع دولة ماليزيا في جنوب شرق آسيا تبلغ مساحتها 330 ألف كيلو متر مربع ،[1] ويحدها من الشمال تايلندا وبحر الصين الجنوبي وبروناي ومن الجنوب بحر جاوا وجزيرة سنغافورة ، والقسم الأندلوسي من جزيرة بورينو ، أما من الشرق يحدها بحر صولو وبحر سيلبس ، ومن الغرب مضيق مالقا الذي بفصلها عن جزيرة صموطرا ، حيث يعد مضيق مالقا من أهم المواقع الإستراتيجية البحرية في العالم فتخترقه معظم السفن المتوجهة من الشرق الأقصى إلى الشرق الأوسط وأوروبا وافريقيا والعكس ، وهو ذو أهمية قصوى لتموين اليابان بالنفط إذ تعبره يوميا حوالي 23 ناقلة نفط .[2]

وتتمتع ماليزيا بمناخها الإستوائي دائم الأمطار والحرارة على مدار السنة ، دافئ حيث تتراوح درجة الحرارة مابين 21 درجة مئوية إلى 32 درجة مئوية حيث تتمتع بثروات طبيعية من القصدير والنفط والغاز والأخشاب والنحاس والبوكسايت ، ولها مواقع سياحية جذابة متوفرة على مدار السنة .

تتميز ماليزيا بتعدد أجناسها وأديانها غير أن هناك ثلاث فئات عرقية كبيرة هي الملايو ، الصينيون والهنود وعند استقلالها سنة 1975 كان التقسيم العرقي في شبه جزيرة الملايو يشير إلا أن الملايو حوالي 50% من السكان ، بينما الصينيون 37% ويشكل الهنود نسبة 12 %.

ويطلق على ماليزيا اسم " آسيا المصغرة " وماليزيا هي مجمع ثقافات وأديان مختلفة والملايو هي أكبر المجموعات العرقية وأكثرها تجانسا فكلهم مسلمون ويتحدثون اللغة المالوية أو الماليزية ويشكل المسلمون حسب آخر إحصاء سنة 2000 نسبة 60.4 %من السكان .

[1] محمد صادق إسماعيل ، التجربة الماليزية ، مهاتير محمد ..والصحوة الاقتصادية ، العربي للنشر والتوزيع ، ط1، القاهرة ، 2014 ، ص 12 .

[2] سعيد إبراهيم كريردية ، ماليزي للقارئ العربي ، دار النشر ، ط1، 1996 ، (د. ب) ، ص 06

حيث تعد ماليزيا واحدة من أكثر الدول ازدهارا وتقدما في العالم ، احتلت المركز العاشر في التنافس العالمي لعام 2010 للكتاب السنوي المعد من معهد الإدارة والتطوير الدولي ، كما احتلت المركز السادس والعشرين في تقرير المنافسة العالمية المعد من المنتدى الاقتصادي ، واحتلت أيضا المركز الخامس والثلاثين في مؤشر K.O.F العالمي .[1]

ثانيا : واقع الاقتصاد الماليزي

كان الاقتصاد الماليزي بسيط جدا إذ اكتشف القصدير في ماليزيا في القرن السابع عشر عند استحواذ بريطانيا على الأراضي الماليزية إذ باشروا بزراعة شجر المطاط (الذي يستخرج منه المطاط الطبيعي) وشجر النخيل (لاستخراج زيت النخيل)كباقي المستعمرات البريطانية في المنطقة ، ومع مرور الزمن على عهد ليس ببعيد أصبحت ماليزيا مصدرة لهذه السلع الثلاثة .[2]

بدأت ماليزيا أولى مراحل التنمية في السبعينات فتوجهت نحو التصدير واعتمدت على التركيز في عمليات التصنيع وصناعة المكونات الإلكترونية والتي كانت كثيفة العمالة مما ترتب عليها تخفيض معدلات البطالة وتحسين في توزيع الدخل والثروة بين فئات المجتمع الماليزي ، أما في المرحلة الثانية في سنوات الثمانينات نفذت الخطة الرابعة حيث تم التركيز على موجة جديدة التي تقوم بعملية إحلال محل الواردات والصناعات الثقيلة وتليها المرحلة الثالثة الممتدة من منتصف الثمانينات إلى سنة 2000 وفيها نفذت 3 خطط خماسية استهدفت النمو الصناعي والتوجيه التصديري مع زيادة التعاون الإقليمي في إطار مجموعة بلدان كتلة الأسيان .[3]

المطلب الثاني: المشروع النهضوي الاقتصادي في عهد محمد مهاتير –التجربة الماليزية–

تعد التجربة الماليزية من أهم التجارب العالمية الرائدة في مجال التنمية والجديرة بالاهتمام والدراسة كما حققته من إنجازات كبيرة يمكن أن تستفيد منها الدول النامية للنهوض بالاقتصاد.

[1] محمد صادق إسماعيل ، مرجع سابق ، ص ص 12-13-14

[2] علي أحمد درج ، التجربة التنموية الماليزية والدروس المستفادة منها عربيا ، مجلة جامعة بابل للعلوم الصرفة والتطبيقية ، كلية الإدارة والإقتصاد ، المجلد 23 ، العدد 03 ، 2015 ، ص 1363

[3] محمد صادق إسماعيل ، مرجع سابق ، ص 130

أولا : السياسة الإقتصادية الجديدة

منذ تاريخ حصول ماليزيا على الإستقلال سنة 1957 نجحت في تنويع اقتصادها من اقتصاد يعتمد في البداية على الزراعة والسلع الأساسية ، إلى اقتصاد قائم على قطاعي التصنيع والخدمات ، مما جعلها تصبح مصدرا رائدا للأجهزة الكهربائية ، وكان الانفتاح على التجارة والإستثمار عاملا أساسيا في خلق فرص العمل ونمو الدخل .[1]

وعقب أحداث 13 ماي 1969 تم تنفيذ الإستراتيجية الجديدة التي عرفت بالسياسة الإقتصادية الجديدة ، حيث ركزت على القضاء على الفقر المدقع وما يرتبط من وجود فرص توظيفية وانتشار البطالة وتدني المستوى المعيشي ، حيث قامت الحكومة الماليزية بوضع خطط خماسية في إطار طويل المدى من سنة 1970-1990 والتي أطلق عليها د. مهاتير محمد رئيس الوزراء الماليزي الأسبق باسم رؤية "2020" وهذه الرؤيا جاءت لتنقل ماليزيا إلى مصاف الدول المتقدمة بنهاية سنة 2020 حيث وفقا لهذه الخطة تقوم الحكومة بإنشاء مؤسسات وظيفتها تكوين شركات أعمال وعندما تنجح يتم تقديمها للمالاوي ، وقد نجحت المخططات التنموية في تحسين الوضع الإجتماعي والترقية في الوظائف واكتساب المهارات المهنية المتميزة .[2]

وما يبين نجاح الأداء الإقتصادي لماليزيا هو التوسع في استثمارات القطاع الصناعي حيث أنشئ 15 ألف مشروع صناعي مما شكلت المشروعات الأجنبية 54 % من هذه المشاريع ، حيث عاد بالنفع لهذه المشاريع على الشعب الماليزي ووفرت مليوني وظيفة ، إلى جانب نقل التقنية الحديثة وتطوير مهارات العمالة الماليزية ، كما حظيت مشروعات الإتصالات والمعلومات باهتمام كعنصر مهم من عناصر الخطة التنموية.[3]

منذ أن تولى محمد مهاتير رئاسة الوزراء عام 1981 والذي دعا إلى سياسة النظر شرقا معناها اعتناق قيم العمل السائدة في اليابان والتي تقوم أساسا على الإنضباط الشديد والإخلاص التام للعمل والحرص على اختيار المدربين المتميزين ليكونو قدوة لموظفيهم ، حيث كان محمد مهاتير من أبرز القادة السياسيين في ماليزيا خلال رئاسته استطاع أن يقوم بطفرة اقتصادية كبيرة في ماليزيا وأن ينقلها إلى مصاف الدول المصنعة بل وإلى ثالث أكبر اقتصاد في دول جنوب شرق آسيا .[4]

---

[1] منى طواهرية ، عائشة قادة بن عبد الله ، التجربة التنموية الماليزية قراءة في مقومات النجاح والدروس المستفادة عربيا ، مجلة الدراسات القانونية والإقتصادية ، المجلد 5 ، العدد 01 ، الجزائر ، 2022 ، ص 1461

[2] محمد صادق إسماعيل ، مرجع سابق ، ص 58

[3] محمد صادق إسماعيل ، نفس المرجع ، ص 130

[4] بلحنافي جوهر ، فكر مالك بن نبي من التنظير إلى تطبيق التجربة الماليزية أنموذجا ، مجلة المدونة ، المجلد 09 ، العدد 01 ، معسكر ، 2022 ، ص ص 1116-1117

ثانيا : المشروع الإسلامي الحضاري

استعرض صانع نهضة ماليزيا الحديثة د.مهاتير محمد تجربته في النهوض بالإقتصاد الماليزي ليصبح أحد النمور الإقتصادية العالمية ومن أهم الأسس التي قامت عليها التجربة الماليزية هي :[1]

1-إزالة العقبات أمام الإستثمارات الأجنبية .

2-الإعتماد على الموارد الذاتية ورفض الإقتراض الخارجي .

3-الإهتمام بالقضاء على البطالة في المجتمع وتوفير التعليم الجيد للمواطنين .

حيث اعتمدت التجربة الماليزية بالإتفاق مع المبدأ الإسلامي الذي جعل الإنسان محور النشاط التنموي وأداته في نفس الوقت ، وأكدت تمسكها بالقيم الأخلاقية والعدالة الإجتماعية والمساواة الإقتصادية .[2]

وللإشارة فإن د.مهاتير محمد كان في كل المحافل الدولية يعتز بإسلامه ، ويرجع نجاحه إلى تطبيق تعاليم الإسلام وأنه ينطلق نحو النجاح بفهم عميق لجوهر الدين الذي يعلي من قيمة العلم والتقدم ، فنجده في إحدى خطاباته يقول : " إن ماليزيا واثقة بأن الأمة الإسلامية يمكنها أن تكون أقوى في العالم إذا توحدت وأحسنت استخدام ثرواتها ومصادرها المختلفة " ، وأوضح بأن الأمة أن تنشط في تحصيل العلوم وتقتحم مجال تكنولوجيات المعلومات حتى تستطيع منافسة الغرب في هذا المجال المهم في هذا العصر.[3]

واستفادته من إطلاعه على تاريخ الأديان ومنه الدين الإسلامي فاعتبره دين حضارة وكان القرآن هو السبيل لنشوء الحضارة ، إذا تم تفسيره وفهمه فهما صحيحا حتى يتلائم مع متطلبات العصر ، فاهتم بقضايا العالم الإسلامي وكان انشغاله الدائم محاولة البحث لإستعادة وحدة الأمة الإسلامية ، فقد استلهم فكرة إنشاء اتحاد إسلامي من لبنات أفكار مالك بن نبي فدعا إلى قمة إسلامية مصغرة تضم كل من ماليزيا و أندونيسيا (العالم الإسلامي المالاوي) وتركيا (العالم الإسلامي الإيراني) وباكستان وقطر (العالم الإسلامي العربي) وذلك من أجل نقاش الأزمات المركزية التي تمر بها الدول الإسلامية .[4]

المطلب الثالث: نجاح التجربة الماليزية وأهم الدروس المستخلصة منها

تحولت ماليزيا من دولة متقدمة ومصدر للسلع الصناعية حيث احتلت مراتب عالية في تصنيفات عالمية من حيث الإقتصاد والتقدم والنهضة ، حيث تعتبر انجازا واضحا وتستحق أن تكون هذه التجربة أنموذجا يقتدي به ، وعليه سنعرض أهم عوامل نجاحها والدروس التي يمكن أن نستفيد منها عربيا .

[1] محمد صادق إسماعيل ، مرجع سابق ، ص ص 54-55

[2] محمد صادق إسماعيل ، نفس المرجع ، ص 62

[3] محمد صادق إسماعيل ، نفس المرجع ، ص 131

[4] بلحنافي جوهر ، مرجع سابق ، ص ص 1117-1118

أولا : عوامل نجاح التجربة الماليزية

انتهجت ماليزيا نموذجا للتنمية الشاملة إذن إذ نهضت في المجال الإقتصادي خلال الأربع عقود الأخيرة ، حيث استطاعت الإندماج في اقتصاديات العولمة ، كما قامت بالإحتفاظ بنهج الإقتصاد الوطني فتحولها من بلد يعتمد على تصدير المواد الأولية البسيطة إلى أكبر الدول المصدرة للسلع والتقنية الصناعية في منطقة جنوب شرق آسيا ، وعلى الرغم من تعدد الأعراق والأديان بها استطاعت انتهاج سياسة توازن عرقي وسياسي دقيق في التعامل مع مكونات المجتمع .[1]

حيث تؤكد الدكتورة نعمت مشهور ، أستاذة الإقتصاد الإسلامي في كلية التجارة بجامعة الأزهر أ، أن هناك عدة عوامل ساعدت في نجاح تجربة ماليزيا في التنمية وهي : [2]

1-ملائمة المناخ السياسي لدولة ماليزيا حيث يمثل حالة خاصة بتهيئة الظروف الملائمة لتسريع وتيرة التنمية الإقتصادية .

2-عملية اتخاذ القرار يتم من خلال المفاوضات بين الأحزاب السياسية القائمة على أسس عرفية مما جعلها سياسة توصف بأنها ديمقراطية .

3-توجيه التمويل المتاح للتنمية بشكل أساسي بدل الإنفاق على السلاح وأسلحة الدمار الشامل (نجاحها في إعلان منطقة جنوب شرق آسيا منطقة خالية من السلاح النووي سنة 1955) .

4-تعد النفقات المخصصة لمشروعات البنية التحتية هي الأساس .

5-انتهاج ماليزيا لإستراتيجية الاعتماد على الذات بدرجة كبيرة من خلال سكان البلاد الأصليين الذين يمثلون الأغلبية المسلمة .

6-اهتمت ماليزيا بتحسين المؤشرات الإجتماعية لرأس المال البشري الإسلامي من خلال تحسين الأحوال المعيشية والتعليمية والصحية للسكان الأصليين (سواء من أهل البلاد أو المهاجرين إليها من المسلمين).

7-اعتماد ماليزيا بدرجة كبيرة على الموارد الداخلية في توفير رأس المال اللازم لتمويل الإستثمارات .

وعليه فقد حقق النموذج الماليزي نتائج مبهرة على الصعيد التنموي الشامل باعتماده على معاني الإختلاف والتواصل التي تحقق حتما التعايش وفق مبدأ الإندماج الثقافي للأعراق التي تكونها .[3]

[1] حمود سعيدة ، التجربة التنموية بماليزيا ما بين الخصوصية والانفتاح على العالم "مقاربة إسلامية "، المجلد 11 ، العدد01،الجلفة ، 2023 ، ص 3

[2] محمد صادق إسماعيل ، مرجع سابق ، ص ص 51-52

[3] حمود سعيدة ، مرجع سابق ، ص 18

ثانيا : أهم الدروس المستفادة عربيا من التجربة الماليزية

التجربة الماليزية أثارت اهتمام كثير من الدول النامية وخاصة الدول العربية والتي تسعى للاستفادة منها كرؤية تنموية اقتصادية واجتماعية رائدة يقتدى بها [1].

فلها خصوصيتها وذلك لأن لها بيئة خاصة نجحت فيها ، ومع ذلك فإنها تقدم الكثير من الدروس والتي يمكن الأخذ بها لبناء اقتصاديات عربية تواكب التطورات العالمية تحقيق تنمية اقتصادية هامة ، ولعل أبرز ما يمكن الإستفادة منه عربيا من هذه التجربة نذكر منها :[2]

01-معادلة الكل يكسب وهي معادلة تقوم على توفير شبكة أمان لكافة فئات المجتمع وعلى ضمان حرياتهم وحقوقهم السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية مع تحقيق عدالة اجتماعية تراعي التعدد الطائفي والعرقي وهي معادلة تقوم على تقديم المصلحة العامة على المصلحة الفئوية الضيقة في سبيل تحقيق مكاسب مرتبطة بالإستقرار السياسي والشراكة في بناء الدولة وفي مشاريع التنمية .

2-الإستقرار السياسي القائم على تحالف لاعبي اللعبة السياسية ، عدم الدخول في الإبتزاز السياسي والرضا بنصيبها المعقول من " الكعكة ".

3-إيجاد رؤى تنموية وإصلاحية طويلة المدى : تنفيذ مشاريع تنموية قوية بعيدة عن أطر الشعارات الفارغة .

4-الإهتمام بالتنمية البشرية : الإستثمار في رأس المال الفكري مركز للإبداع والإبتكار مع اعتماد استراتيجية مبنية على الذات وهذا عن طريق الإهتمام بالدين الإسلامي والقيم التي حض عليها في الجانب الإقتصادي .

رغم امتلاك الدول العربية للموارد الطبيعية والقدرات البشرية الهائلة إلا أنها تفتقر إلى رؤية واضحة المعاني تبنى عليها اقتصاداتها الوطنية وعليه مما سبق فإن قدرة الدول العربية للنهوض وتحقيقها للتنمية المنشودة يتطلب تركيزها على ثلاث محاور تتمثل في : [3]

أ -امتلاك الإرادة الحازمة والرؤية الواضحة وذلك بتوظيف القدرات المادية والبشرية وفق رؤية مستقبلية .

ب-تنمية رأس المال البشري والذي يعتبر الطاقة المهدورة في العالم العربي وذلك بتبني سياسات تعليمية ومنع هجرة الأدمغة ، كما يجب تكوين إعادة منظومة القيم الثقافية التي تخدم النهوض الإقتصادي وبناء ثقافة الإدخار والإنتاج والإستثمار .

ج-الكشف عن نقاط القوة في الإقتصاد والمجتمع وذلك بتنفيذ البرامج والمشاريع في إطار الإصلاحات الإقتصادية والمعتمدة على الموارد المتوفرة مع الرؤية البعيدة المدى .

---

[1] منى طواهرية ، عائشة قادة بن عبد الله ، مرجع سابق ، ص 1470

[2] محمد صادق إسماعيل ، مرجع سابق ، ص 210

[3] منى طواهرية ، عائشة قادة بن عبد الله ، مرجع سابق ، ص 1472

خلاصة الفصل الثاني :

يؤكد المفكر مالك بن نبي على ضرورة خلق وعي اقتصادي مشروط حضاريا ، فهو متيقن أن لا الرأسمالية ولا الماركسية (الإشتراكية أو الشيوعية) تناسب الإطار السوسيولوجي للمسلمين ، كما يؤكد أن البلدان لن تقدر على تجاوز مشاكلها الإقتصادية إذا راهنت على بعدها الوطني فقط بل يجب التفكير والعمل على خلق اقتصاديات متكاملة فيما بينها من خلال الإشتراك في مشاريع ذات منفعة عامة فهو ينتظر من البلدان الإسلامية ، وبلدان العالم الثالث على العموم أن تضع مناهج مرتبطة بالتنمية والتخطيط وهو يؤمن بضرورة بعث ديناميكية اجتماعية تستند على الإمكانيات المحلية .

تمكن مالك بن نبي من تحقيق الفهم الشمولي لمشكلة العالم الإسلامي فكان مشروعه لبنة في صناعة المشروع الحضاري للعالم الإسلامي الذي رأينا نتائجه في التجربة الماليزية التي نهضت نهوضا كبيرا في المجال الإقتصادي ، بتبنيها للمقاربة الإسلامية تحت القيادة الراشدة لمحمد مهاتير والذي أصبحت أنموذجا يقتدى به كل من أراد أن يلحق بركب التقدم والدروس التي يمكن أن تستفيد منها الدول النامية والدول العربية خاصة كي تنهض من التخلف والجمود والتبعية .

خاتمة

خاتمة :

من خلال دراستنا نكون قد حددنا تصور مالك بن نبي للخطوط العريضة التي يتطلبها الإقلاع الاقتصادي على المستوى الفكري الحضاري فكان مشروعه لبنة أساسية في صناعة المشروع الحضاري للعالم الإسلامي ، محاولا في ذلك تقديم رؤى حضارية للدول الإسلامية التي أطالها التخلف ، حيث استطاعت ماليزيا من خلال الإستغلال الأمثل لإمكانياتها المادية والبشرية دون اللجوء إلى الإقتراض معتمدة على مقومات إسلامية عرفت كيف تجسدها واقعيا وعليه فقد جعلت ماليزيا من نفسها أنموذجا يحظى به وقدمت دروسا يمكن الإستفادة منها عربيا للنهوض وتطوير اقتصاديات الدول العربية .

1-اختبار الفرضيات :

انطلاقا مما تناوله الباحث من هذه الدراسة توصلنا إلى اختبار الفرضيات المطروحة :

أ- إثبات فرضية الدراسة الأولى حيث أراد مالك بن نبي أن يمسح الغبار عن كثير ممن طغت عليهم الأتربة الفكرية الإستعمارية على عقولهم وأن المشكلة الإقتصادية الحقيقية هي التبعية الإقتصادية للغرب .

ب- فرضية الدراسة الثانية : ضرورة الإهتمام بالمورد البشري يعتبر كهدف رئيسي للفكر الحضاري .

ج- فرضية الدراسة الثالثة :

- ركز مالك بن نبي على الإستثمار في الفرد بدل الإستثمار المالي بحيث أكد على مفهوم الواجب وهو يهدف إلى ربط القيمة الإقتصادية بالقيمة الأخلاقية وذلك بجعل المعادلة الإقتصادية ايجابية بفائض الإنتاج على الإستهلاك .
- النهوض بالحركة الإقتصادية بواسطة تكاثف الأيدي والعقول والأموال لبناء اقتصاد متحرر لايخضع لضغط خارجي .

د-العمل بفكر ومنهج مالك بن نبي فهو كفيل بحل الأزمات الإقتصادية وكذا تحقيق الإقلاع الإقتصادي وهذا ما رأيناه من خلال التجربة الماليزية .

2-نتائج الدراسة :

على ضوء مما سبق يمكن ذكر أهم النتائج التي توصلنا إليها وهي كالآتي :

1. حيث قدم لنا مالك بن نبي رؤية شاملة لقضايا التخلف الاقتصادي الذي عانت منه المجتمعات العربية والإسلامية ، ويرى أن ظاهرة التخلف ليست طبيعية في البشر بل تعود إلى أسباب ذاتية وأخرى موضوعية .

2-من أسباب التخلف أيضا هو نقص الوعي الاقتصادي لأننا عشنا الإقتصادانية الزائفة وليس الاقتصاد الحقيقي الناجح .

3- إن أزمة أي مجتمع في جوهرها هي أزمة حضارية تتطلب حلولا حضارية لذا كان لزاما دراسة ما أسماه بنظرية الحضارة (الإنسان والتراب والوقت) والتي يركز فيها على الفاعلية الإنسانية التي يقوم على تغير الإنسان باعتباره عنصر الحضارة مع عدم إغفال عنصر الزمن الذي يتحقق فيه الإنتاج وتوفر الإرادة والقدرة على إبداع المعرفة وإنتاج الأشياء.

4- ضرورة توجيه العمل جماعيا تقوي سير الجهود وهنا الأمر مجسد في ديننا الإسلامي ومطبق في الدول العظمى ، وكذلك إيجاد منهج سليم لحركة الأموال وتوظيفها في خدمة الصالح العام حتى ننطلق اقتصاديا وننهض نهضة حضارية .

5- إعادة الاعتبار للاستثمار الاجتماعي مقابل الاستثمار المالي أو المادي أي إعطاء القيمة لإتحاد إرادات البشر في إنجاح مجمل المشاريع التنموية .

6- إعادة التوازن بين الحقوق والواجبات بحكم أن الإنسان المسلم يمتلك كل التعاليم الإسلامية التي توحي بأن الواجبات هي التي تحقق كرامة الإنسان ، وبذلك تتحقق الحقوق التي يتمتع بها آليا .

7-ضرورة التكامل والإندماج الإقتصادي بين الدول الإسلامية والإفريقية لتشكل قوة اقتصادية عظمى لها وزنها عالميا .

8- من أجل النهوض بالفكر الاقتصادي في العالم العربي يقول مالك بن نبي " يجب على المجتمع استثمار طاقاته البشرية من خلال إمكانياته الطبيعية الهائلة والتي إن أحسن استخدامها فهي كفيلة بأن تغنيه عن السؤال والتبعية .

9-تعتبر النهضة التنموية الماليزية تجربة رائدة في العالم .

10-اعتماد ماليزيا على التخطيط الجيد وتطوير رأس المال البشري مثلت مقومات رئيسية في نجاح تجربتها التنموية .

3-المقترحات:

انطلاقا من ذلك يمكن اقتراح بعض التوصيات مثلا لحالة الجزائر كالتالي :

- الإستثمار الفعال في رأس المال البشري من أجل الإقلاع الإقتصادي .
- الإهتمام بالتعليم والصحة والسكان مما يؤثر بالإيجاب على مردود الفرد في المجتمع كعنصر حيوي وفعال .
- العمل على الإستغلال الأمثل للموارد الطبيعية ومقوماتها الإقتصادية .
- فتح المجال أمام الإستثمار الخارجي .

قائمة المراجع

قائمة المراجع

أولا- المصادر :

1-القرآن الكريم.

ثانيا - المراجع :

1-أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي ج10**، دار البصائر ، الجزائر 2007 .

2-آمنة تشيكو ، **مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرلوند توينبي** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1989 .

3-الطيب برغوث ، **آفاق في الوعي السنني محورية البعد الثقافي إستراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي** ، دار الشاطبية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2012 .

4-بشير ضيف الله ،**فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي** ، منشورات المجلس الأعلى ، الجزائر ،2005 .

5-بشير فلاح ، **تاريخ الجزائر المعاصر ج1 1830-1989** ، دار المعرفة ، دون طبعة، دب ، 2006 .

6-زكي ميلاد ، **مالك بن نبي ومشكلات الحضارة ، دراسة تحليلية ونقدية** ، دار الفكر المعاصر، بيروت ،1998 .

7-سعيد إبراهيم كريردية ، **ماليزي للقارئ العربي** ، دار النشر ، ط1 دون بلد، ، 1996 .

8-شايف عكاشة ، **الصراع الحضاري في العالم الإسلامي** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1993 .

9-صلاح العقاد ، **الجزائر المعاصرة معهد الدراسات العربية العالمية** ، القاهرة ، جامعة الدول العربية ، 1964 .

10-عبد الله بن حمد العويسي ، **مالك بن نبي حياته وفكره** ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ،ط1، بيروت ، 2012 .

11- عبد الرحمان رزاقي ، **سياسة التسلط الإستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1930-1954** ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ط1 ، الجزائر ، 2002 .

12-عبد اللطيف عبادة ، **صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي** ، دار الشهاب للطباعة والنشر، ط1 ، الجزائر ، 1984 .

13-عمار الطالبي ،**دراسات في الفلسفة وفي الفكر الإسلامي** ، دار الغرب الإسلامي،ط1، بيروت ، 2005.

14-عمار بوحوش ، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية الى غاية 1962** ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، (د س).

15-عبد القادر رزيق المخادمي ، **فضاءات حرة في الإقتصاد والدين والثقافة** ، دارهومة للطباعة والنشر ، الجزائر ، 2002 .

16-فؤاد عبد الرحمان البنا ، **كتاب الأمة العروج الحضاري بين مالك بن نبي وفتح الله جولن** ،وزارة الأوقاف والشؤؤون الإسلامية، ط1 ، قطر ، 2013 .

17-فوزية بريون ، **مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة** ، دار الفكر ، دمشق ، 2010

18-فهمي جدعان ، **أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث** ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط2 ، بيروت ، 1989 .

19-مالك بن نبي ، **المسلم في عالم الإقتصاد** ، ط3 ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 2000 .

20- مالك بن نبي ، **القضايا الكبرى** ، ط1 ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، 2000.

21-مالك بن نبي ،**بين الرشاد والتيه** ، ط2 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، 1988

22-مالك بن نبي ، **تأملات** ، ط5 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، سوريا ، 1991.

23-مالك بن نبي ، **شروط النهضة** ، دار الفكر ، دمشق ، 1986 .

24-مالك بن نبي ،**مذكرات شاهد القرن القسم الأول والثاني (الطفل والطالب)** ، ط1، دار الوعي للنشر والتوزيع 2013 .

25-مالك بن نبي ،**مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي** ، ط1 ، در الفكر ، دمشق ، 1992 .

26-مالك بن نبي ،**ميلاد مجتمع** ، ط3، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، 1986 .

27-مالك بن نبي ، **من أجل التغيير** ، ط4، دار الفكر بدمشق ، سوريا ، 2005 .

28-مالك بن نبي ، **في مهب المعركة** ، ط1 ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ، دمشق ، 1991

29-مالك بن نبي ، **فكرة الأفريقية الأسيوية** ، ط3 ، دار الفكر ، دمشق ، 1992 .

30-مالك بن نبي ، **فكرة الأفريقية الأسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ**، دار الفكر ، دمشق ، 1979

31-مالك بن نبي ، **وجهة العالم الإسلامي** ، ط1، دار الفكر دمشق ، سوريا ، 2002 .

32- محمد العبدة ،**مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي** ، دار القلم ، ط1، دمشق ، 2006

33-مولود عويمر ، **مالك بن نبي رجل الحضارة مسيرته وعطاؤه الفكري** ، دار الأمل للطباعة والنشر ، تيزي وزو ، 2007 .

34-محمد صادق إسماعيل ، **التجربة الماليزية ..مهاتير محمد والصحوة الاقتصادية** ، العربي للنشر والتوزيع ، ط1 ، القاهرة ، 2014 .

35-ناصر دادي عدون ، **الحركية الإقتصادية في الدول النامية بين عالمية مالك بن نبي والعولمة الغربية** ، دار المحمدية ، الجزائر ، 2003 .

36-يحي بوعزيز ، **سياسة التسلط الإستعماري والحركة الوطنية 1830-1954** ،ديوان المطبوعات الجزائرية ، دون طبعة ، الجزائر ، 2009.

ثانيا- أطروحات الدكتوراه:

1-العابد ميهوب ، **الفكر التربوي عند مالك بن نبي** ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه كلية العلوم الإجتماعية ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، الجزائر، 2014/2013 .

ثالثا- رسائل الماجستير:

1-الأخضر شريط ، **مشكلة التاريخ عند مالك بن نبي** ، رسالة لنيل شهادة الماجستير ، معهد الفلسفة ، جامعة الجزائر ، 1989/1988 .

2-حسن موسى محمد العقبي ، **مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة** ، رسالة ماجستير ، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ، كلية أصول الدين ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، 2005 .

3-لويزة لعميري ، **نظرية الثقافة عندمالك بن نبي** ، مذكرة لنيل شهادة ماجستير ، قسم اللغة والأدب العربي كلية الآداب واللغات ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، 2014 .

رابعا- المقالات في المجلات العلمية:

1-أكرم بوجمعة ، **أوضاع الجزائر في مطلع القرن العشرين** ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، العدد 28 ، تلمسان ، 2016 .

2-ابرير الطاهر ، بنادي محمد ، **الحضارة** في **فكر مالك بن نبي** ، مجلة الفكر المتوسطي ، المجلد 09 ، العدد 02 ، بسكرة ، 2002 .

3-بدر الدين مرزوقي ، **الأسس الحضارية للظاهرة الإقتصادية في فكر مالك بن نبي** ، مجلة الراصد العلمي ، العدد 05 ، وهران ، 2018 .

4-بلحنافي جوهر ، **فكر مالك بن نبي من التنظير إللى تطبيق التجربة الماليزية أنموذجا** ،مجلة المدونة، المجلد 09 ، العدد 01 ، معسكر 2022 .

5-البشير قلاتي ، **الأفكار الإقتصادية عند مالك بن نبي** ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة، دون سنة

6- رزيقة زراولية ، **الإقتصاد في البلدان النامية بين التبعية والتنمية (قراءة في أفكار مالك بن نبي)** ، المجلد 08 ، العدد 01 ، جامعة الجزائر ، 2019 .

7-سليمان ملوكي ، **النظرية الإقتصادية عند مالك بن نبي من خلال ثلاثية توجيه رأس المال ، العمل ،الوقت** ، مجلة العلوم الإقتصادية والتسيير والعلوم التجارية ، العدد 10/06 ، المسيلة ، 2013 .

8-سعيدة حمود ، **التجربة التنموية لماليزيا مابين الخصوصية والإنفتاح على العالم الإسلامي مقاربة إسلامية** ،المجلد 11، العدد 01 ، الجلفة ، 2023 .

9-علي أحمد درج ،**التجربة التنموية الماليزية والدروس المستفادة منها عربيا** ، مجلة جامعة بابل للعلوم الصرفة والتطبيقية ، كلية الإدارة والإقتصاد ، المجلد 23 ، العدد 03 ، 2015 .

10-منى طواهرية ، عائشة قادة بن عبد الله ، **التجربة التنموية الماليزية قراءة في مقومات النجاح والدروس المستفادة عربيا** ، مجلة الدراسات القانونية والإقتصادية ، المجلد 05 ، العدد 01 ، 2022

الملخص:

بعد تعرفنا على شخصية المفكر مالك بن نبي والذي تميز فكره عن باقي المفكرين رغم مختلف المشاكل الإجتماعية التي عانت منها بلادنا ، إلا أنه لم يكن حاجزا أو عائقا أمامه بل العكس هذه الظروف التي عاشها ساعدته في بناء فكره فقد ترك مالك بن نبي ثقافة عصرية متداولة من جيل لآخر من خلال العديد من الإنجازات والأعمال التي خلفها .

قدم مالك بن نبي رؤية حضارية شاملة يكون الإقتصاد أحد أعمدتها الرئيسية والوسيلة التي تتكامل مع بقية الوسائل لظهور مجتمع جديد .

فالعالم المتخلف بما عليه وخاصة العالم الإسلامي الذي لا ينقصه سوى تطبيق المناهج الكفيلة بإخراجه من عالم الإنحطاط وسعيه نحو الريادة فما أحوجه للتجديد وبناء حضارة تلد منتجاتها الفكرية والمادية ولضمان التوازن بين المثال والواقع بين الروح والمادة ، وبين الدين والدولة ذلك هو عين التحضر وقيمته .

الكلمات المفتاحية: مالك بن نبي ، الحضارة ، الإقلاع الاقتصادي .

Abstract:

After we got to know the personality of the thinker Malek Bennabi, whose idea distinguished himself from the rest of the thinkers, despite the various social problems that our country suffered from, it was not a barrier or an obstacle to him. On the contrary, these conditions in which he lived helped him build his idea. Malek Bennabi left behind a circulating modern culture of... One generation to another through the many achievements and works left behind.

Malek Bennabi presented a comprehensive civilizational vision in which the economy is one of its main pillars and the means that integrates with the rest of the means for the emergence of a new society.

The backward world is as it is, especially the Islamic world, which lacks only the application of approaches capable of removing it from the world of decadence and its pursuit of leadership. What is its need for renewal and building a civilization that gives birth to its intellectual and material products and to ensuring a balance between ideal and reality, between spirit and matter, and between religion and the state? This is the essence of civilization and its value.

Keywords: Malek Bennabi, civilization, economic take-off.